عبادة آتون ، إله وقرص الشمس
أصلها ، وتطورها ، وأفولها

وسط الكم الكبير من الكتابات الدينية فى مصر القديمة ، لا نجد وثيقة واحدة تحتوى على بيان مقنع ومترابط عن الأفكار والمعتقدات التى ربطها المصريون بالإله آتون. يمكن تخمين أسباب نهضته وتأييده قرب نهاية الأسرة الثامنة عشرة ، ويمكن اكتشاف المبادىء الرئيسية التى أذاعها مؤسس عبادته وأتباعه فى التراتيل التى تم العثور عليها على جدران المقابر المنحوتة فى الصخر فى تل العمارنة ؛ لكن التاريخ الحقيقى لنهضة وتطور وسقوط هذه العبادة لا يمكن معرفته بشكل كامل. كلمة إتن أو إتن ، كلمة قديمة تعنى " القُرص " أو " وجه الشمس ". والأتونية بلا شك شكل قديم لعبادة الشمس ، إلا أن أشكالاً متعددة لعبادة الشمس وُجدت قبل عبادة آتون ، كما عُبدت فى مصر آلهة شمسية مختلفة قبل اعتبار آتون شكلاً خاصاً من الإله الشمسى العظيم على أية حال بعدة قرون. كان حر (حورس) واحداً من أقدم الأشكال التى عُبدت فى مصر لإله الشمس ، ويبدو أنه كان يمثل فى العصور المبكرة " إرتفاع " أو "وجه " السماء بالنهار. وقد رُمز له بالباشق {الصقر}، الذى تمثل عينه اليمنى الشمس وتمثل اليسرى القمر. وفى العصور المتأخرة سُمى " حر ور " أو " حر سمس " الصقر الأقدم {أو المُسن}، وكان هو الذى قاتل كل يوم ضد ست – ظلام الليل وسماء الليل – وانتصر عليه.

كانت المدينة المشهورة إنو أقدم مقر لعبادة إله الشمس هى أون فى التوراة ، وهليوپوليس عند كتاب الإغريق واللاتينيين.

(ب) (أ)

أ- حورس برأس صقر وست ، توأمه ؛ الأول كان إله النهار والأخير إله الليل. ب- الإلهة نفثيس ، كانت طبقاً للاهوت هليوپوليس النظير الأنثوى لست.

هنا - منذ وقت سحيق - وُجد معبد مخصص لإله الشمس ، وملحق به كلية لكهنته ، الذين اشتهروا منذ عهد بعيد بحكمتهم ومعرفتهم. لقد دعوا إلههم تم ، أو إتم ، وفى عصور

متأخرة – على الأقل – صُور على شكل رجل يضع تاجى الجنوب والشمال ، ويمسك بيمينه عنخ ☥ (" حياة ") وفى شماله صولجان. كان ملكاً للسماء ولمصر أيضاً. كان إلهاً شمسياً ، أخذ – مثل كل إله قديم آخر فى مصر – خصائص آلهة فطرية مختلفة لم تعد أسماؤها معروفة الآن.

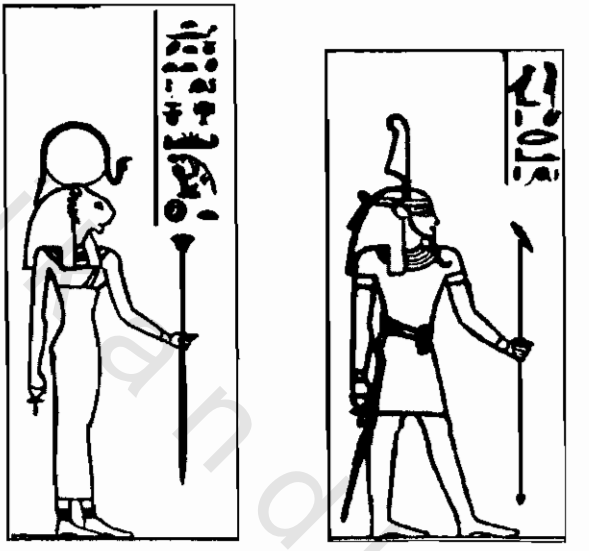

(ب) (أ)

أ- شو ، إبن رع ، مصدر الحرارة والنور. ب- تفنوت ، إبنة رع ، مصدر الرطوبة والماء. كانت النظير الأنثوى لشو.

تُظهر نصوص الأهرام أنه صاحب كل القوى فى السماء ، وأن كهنته نادوا به أعظم الآلهة. تأكدت سيادة تم فى مختلف نسخ كتاب الموتى ، واعتُبرت كل الآلهة الشمسية الأخرى أشكالاً له فى مختلف

النسخ الحديثة من هذا الكتاب. مثلاً يقول فى الفصل السابع عشر: " أنا تِم فى إشراقه. كنت الواحد الأحد (عندما) ظهرت للوجود فى ننو (أو نو). أنا رع عندما أشرَق للمرة الأولى. أنا الإله العظيم الذى خلق نفسه (من) ننو ، الذى جعل أسماءه تصبح آلهة جماعته. أنا هو الذى لا يُقاوم بين الآلهة. أنا تِم ، المقيم فى قُرصه ، أو رع فى مشرقه فى الأفق الشرقى للسماء. أنا الأمس ؛ أنا أعرف اليوم. أنا بنَو (أى العنقاء {طائر خرافى}) الذى هو فى انو (هليوبوليس)، وأنا أحفظ سجل الأشياء التى خُلقت وتلك التى لم توجد بعد."* جماعة الآلهة التى ترأسها " الأب تِم " تألفت من شو وتفنوت ، جب ونوت ، أوزيريس وإيزيس ، وست ونفثيس. وطبقاً لإحدى التعاليم ، صنع تِم شو وتفنوت من جسده ، وشكّل هؤلاء الآلهة الثلاثة أول ثالوث مقدس ، فيقول تِم : " من إله واحد أصبحت ثلاثة ".

يجب أن نلاحظ فى المقتطف السابق من الفصل السابع عشر (أعلاه) أن : ١- وُجد تِم أصلاً فى ننو – أو نو – الكتلة العظيمة للمياه البدائية. ٢- كان هو الواحد الأحد فى الوجود عندما ظهر فيه. ٣- الإله العظيم خلق نفسه. ٤- كانت له أسماء مختلفة ، هى التى حولها إلى الآلهة التى شكلت البست أو التاسوع {تِم ، شو ، تفنوت ، ... إلخ.}، بمجرد لفظ أسمائهم. ٥- كان لا يُقاوم بين الآلهة أى كان السيد الأعلى للآلهة. ٦- أدرك الزمن الماضى والزمن القادم. ٧- أقام فى القرص الشمسى (آتون). ٨- ارتفع فى السماء لأول مرة فى شكل رع ، وكان هو نفسه البنَو ، أى روح رع. ٩- حفظ سجلات الأشياء المخلوقة والتى لم تُخلق. ومع أن البردية

التى حصلنا على هذه الحقائق منها ليست أقدم من عهد الأسرة الثامنة عشرة ، فإن كل التعبيرات التى تم تجميعها هنا موجودة فى مختلف النصوص الدينية المدونة فى عهد الإمبراطورية القديمة ، أى قبل ذلك بألفى سنة تقريباً.

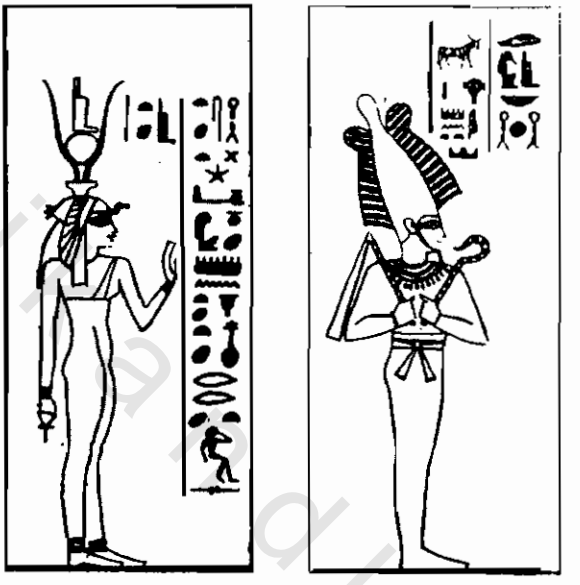

(أ) (ب)

أ- أوزيريس ، سيد الأبدية ، ثور امنتت.

ب- إيزيس ، النظير الأنثوى لأوزيريس ، وأم حورس.

لا نعرف شيئاً عن أسلوب وطبيعة عبادة تم ، لكن حقيقة أنه تم تصويره فى صورة بشرية تدعونا إلى افتراض – عادل على

ما يبدو – أنه كانت له شخصية أعلى من تلك التى كانت لعبادات الحيوانات المقدسة – ومنها الطيور والزواحف – التى كانت شائعة فى مصر فى عهد الأسرات الأولى. تِم – الإله الإنسان – أخذ خصائص حِر ور – إله السماء القديم ، وخپرى – الإله الجُعل (الجعران) – الذى مثَّل واحداً أو أكثر من أشكال إله شمس قديم بين الغروب والشروق ، وحوراختى (" حورس الأفقين "). كان خپرى هو الشمس فى الساعة التى تسبق الفجر. وحِر شمس النهار ، وتِم الشمس الغاربة ؛ ولأسماء أولئك الآلهة أصل محلى. يمكن لنا أن نستنتج أن كهنة تِم أدمجوا فى أشكال العبادة الكثير من الشعائر والطقوس التى اعتاد الناس عليها فى عبادتهم للآلهة القديمة. إذ لا يوجد شىء غريب فى احتواء إله لإله آخر وأخذه خصائصه بالنسبة للمصرى ، فهو ينظر للإله الذى تم احتواءه كطور أو خاصيّة للإله الذى احتواه. فالمصريون – مثل العديد من الشرقيين – متسامحون للغاية فى مثل هذه الموضوعات.

تثبت الآثار أنه – فى بواكير عهد الأسرات – كان هناك شكل آخر معروف ومعبود لإله الشمس فى مصر السفلى {دلتا وادى النيل} يُدعى رع . لا نعرف شيئاً عن أصله وتاريخه المبكر ، ولم يُفسر اسمه على نحو مُرضٍ حتى الآن. لا يبدو أنه مصرى ، لكن يحتمل أنه يخص إلى حد ما إله شمس آسيوى ، أُدخلت عبادته إلى مصر منذ عهد بعيد جداً. شخصيته وخصائصه تشبه إلى حد بعيد ما لدى الإله البابلى مردوك {مردوخ}، ويحتمل أن كلاً من رع ومردوك مجرد اسمين مختلفين لسلف واحد. كان مركز

عبادة رع فى انو – أو هليوبوليس – ولابد أن هذه المدينة كانت مأهولة منذ زمن سحيق بسكان من مختلف أنحاء العالم (كانوا فى الأغلب ممن يعبدون الشمس). توقفت هناك كل القوافل القادمة من بلاد العرب وسوريا والمتجهة إليها ، ولابد أن البشر من أمم كثيرة ذات لغات مختلفة قد تبادلوا الأفكار هناك كما تبادلوا السلع. كان التحكم فى كميات المياه المسحوبة من بئر الشمس المشهورة – " عين الشمس " عند الكتاب العرب – يتم بلا شك بأيدى كهنة انو ، الذين أصبحوا أقوياء أثرياء من مكافآت وعطايا المسافرين الشاكرين على سقى بهائمهم. كانوا يعتقدون أن مياه البئر تنبع من مياه ننو – أو نو – السماوية ، ويخبرنا الملك النوبى بيعنخى أنه غسل وجهه – عندما ذهب إلى انو – فى الماء الذى اعتاد رع أن يغسل وجهه فيه.[1] ويذكرنا هذا بأن مريم العذراء رفعت الماء من هذا البئر عندما توقفت العائلة المقدسة فى انو.

فى عهد الأسرة الرابعة ، كان لكهنة انو نفوذ كبير ، ونجحوا فى إحراز مكانة سامية لإلههم رع بين الآلهة الأخرى لمصر السفلى. لا يمكن الزعم بأنهم اختاروا الملوك من عدمه ، لكن من المؤكد أنهم السبب فى أن يشكل اسم رع جزءاً من اسم نسو بيت الخاص بكل من الملكين اللذين قاما ببناء الهرمين الثانى والثالث من أهرام الجيزة. وبالتالى لدينا الاسمان خعف–رع (خفرع) ومنكاو–رع (منقرع). ولم يقنعوا بهذا ، فرفضوا سلالة بناة الأهرام العظام ، ووضعوا على العرش عدداً من الملوك أعلنوا أنهم أبناء إلههم رع من زوج أحد كهنته. اتخذ أولهم اسماً خامساً – شخصياً – هو لقب

" سا رع "، أى ابن رع. هذا اللقب المؤكد أن أول من اتخذه هم ملوك الأسرة الخامسة ، وحمله كل ملك فى مصر بعدئذ ، وأى من النوبيين أو الفرس أو المقدونيين أو الرومان الذين أصبحوا ملوكاً لمصر لم يجده شيئاً سخيفاً أن يُلقب نفسه " ابن رع ". ويرجع الفضل لتنقيب بورخارت Borchardt وشايفر Schäfer – تحت إشراف ف. فون بيسنج F. von Bissing – فى الكشف عن بعض الحقائق الهامة التى تتصل بعبادة رع. كانت معابد الشمس التى بناها الملوك المتأخرين من الأسرة الخامسة عادة مبانى طولها حوالى ٣٢٥ قدماً {٩٧,٥٠ متراً} وعرضها ٢٤٥ قدماً {٧٣,٥٠ متراً}. تقف فى نهايتها الغربية مسلة حجرية (أ) فوق هرم مبتور (ب).

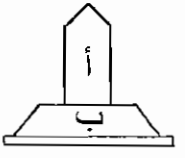

أمام الجانب الشرقى للهرم يوجد مذبح من المرمر ، وعلى الجانب الشمالى للمذبح توجد قنوات تجرى فيها دماء الضحايا – الحيوانية والبشرية – لتصب فى تجاويف من المرمر. يوجد صف من غرف التخزين على الجانب الشمالى للساحة المستطيلة المسوَّرة ، وعلى الجانبين الشرقى والجنوبى توجد ممرات جدرانها مزينة بنقوش بارزة. فى مقابل المذبح ، على الجانب الشرقى ، يوجد مدخل يمر منه طريق مُعبَّد مائل يقود إلى بوابة أخرى ، تشكل مدخلاً إلى ساحة أخرى كبيرة مساحتها حوالى ١٠٠٠ قدم مربع {٩٠م٢}. عاش الكهنة فى هذه الساحة ، وفى حجرات خاصة حُفظت الأشياء المقدسة التى كانوا يحملونها فى مواكب الأعياد.

الشيء الرئيسى فى عبادة رع ورمزه الخاص هو المسلة ، لكن يُفترض أن عباد الشمس الأوائل اعتقدوا أن إلههم يسكن فى حجر خاص هرمى الشكل. ففى مواسم محددة – أو لغايات خاصة – يحث الكهنة روح الشمس لتسكن الحجر ، ويُعتقد أنها تكون حاضرة عند تقديم الهدايا للإله ، وعند التضحية بضحايا بشرية ، كانت عادة من أسرى الحرب. ولا نعرف المعنى الدقيق لهذا الرمز الشمسى. يعتقد البعض أن المسلة تمثل محور الأرض والسماء ، إلا أن المصريين يصعب أن يستنبطوا مثل هذه الفكرة ؛ وآخرون نسبوا لها معنى أداة التناسل ، وغيرهم ربطها بشيء ينتج النار والحرارة. من المؤكد أنها رمزت لرع ، فكان هناك نموذج لمسلة داخل مقام موصد الأبواب فى حرم كل معبد. من المحتمل أن عبادة الحجر القائم أو العمود كانت أقدم من عبادة رع ، وأن انو – الاسم القديم لهليوبوليس – يعنى مدينة العمود. زارت روح الشمس معبدها من آن لآخر فى صورة طائر بنَو ، وحطّت " على حجر بن[٢]، فى بيت بنَو فى انو"؛ وقد عُرف طائر بنَو – الذى نظر إليه المصريون على أنه " روح رع " – فى عصور متأخرة كطائر خرافى أو العنقاء.[٣]

فى عهد الأسرة السادسة ، نجح كهنة رع فى دفع إلههم إلى موضع السيادة فوق كل الآلهة ، وكما نرى من أسماء رع–خبرى ، ورع–اتم ، ورع–حوراختى وما يماثلها ، فإن كل الآلهة الشمسية القديمة لشمال مصر اعتُبرت أشكالاً لرع. كان ملك السماء وقاضى الآلهة والبشر ، وجرت محاولة ليتقبله الناس سيداً فوق أوزيريس وملكاً للدوات أو العالم الآخر. لكن الكهنة أخفقوا فى هذا الشأن ،

واحتفظ أوزيريس بمنصبه كإله وقاضٍ للموتى. وعزا الكهنة لرع فى المؤلفات الجنائزية – التى تُعرف الآن باسم " نصوص الأهرام " – سُلطات عظيمة على الموتى ، وعلى كل الآلهة والشياطين وسكان العالم السفلى فى الحقيقة ، وقبل أن يمر قرن من الزمان ، أصبح أوزيريس صاحب السلطة المطلقة علىمملكة امنتت.

(ب)

(أ)

أ- أوزيريس خنتى امنتت ، إله وقاضى الموتى وسيد العالم الآخر.

ب- پتاح- سكر-إسر. الإله الثالوثى للبعث الأوزيرى. أعضاء ثالوثه هم : سكر إله الموت القديم فى منف وپتاح إله الخلق فى منف وأوزيريس محيى الموتى.

من الواضح – مما سبق ذكره – أنه قبل انتهاء عهد الأسرة السادسة ، نسب الكهنة لكل من الآلهة الشمسية المختلفة لمصر السفلى كل القدرات والميزات الأساسية التى ادّعاها إمنحتب {إخناتون} لإلهه آتون. لكن علينا قبل أن ننظر ملياً فى هذه القدرات أن نُجمل باختصار الحقائق التاريخية الرئيسية المتعلقة بنهضة عبادة آتون وتطورها. أينما عُبد إله شمسى فى مصر فإن موطن هذا الإله هو قرص الشمس (إتن أو إتن) كما يُعتقد. إلا أن أقدم إله شمسى ارتبط بالقرص هو تِم أو إتمو ، الذى يُشار إليه كثيراً فى النصوص الدينية بعبارة " تِم فى قُرصه "؛ وعندما استولى رع على خصائص تِم أصبح " المقيم فى قُرصه ". كان حوراختى " إله الأفقين " أى إله الشمس بالنهار – من الشروق إلى الغروب – وفى الهيروغليفية التى كُتب بها اسمه نرى القرص مستقراً فوق أفق الشرق وأفق الغرب. أدمج تحتمس الرابع – الذى يدين بعرشه لكهنة تِم ورع فى هليوپوليس – إسم تِم مع لقبه النبتى ، ولقّب نفسه " صنيعة رع " و " المختار من رع " و " الذى يحبه رع ". ويبدو أنه من المعقول ، نظراً لغياب اسم آمون من كل ألقابه ، أن نفترض أن تعاطفه الشخصى كان مع عبادة الآلهة الشمسية للشمال وليس مع عبادة آمون طيبة. لكنه احتفظ بعلاقات جيدة مع كهنة آمون ، وأهدى الهدايا لإلههم ، الذى أُقر به فى السودان المصرى ومصر وسوريا – بواسطة انتصارات تحتمس الثالث – كإله للعالم كله.

خَلَفَ تحتمس الرابع ابنه إمنحتب – الملك الثالث الذى حمل هذا الاسم – وأكد كهنة طيبة أنه الابن الحقيقى لإلههم آمون ، الذى

تجرى دماؤه فى عروقه. ووفقاً لهذه الرواية ، انتحل الإله شكل تحتمس الرابع وأنجبت الملكة موت م ويا طفلاً منه. لا يمكن تقدير كمّ التعليم الدينى الذى تلقاه الطفل ، لكن من المحتمل أن أى تعليم تلقاه من أمه – أميرة ميتانى – جعل عقله يميل نحو ديانة وطنها الأم. من الواضح من الألقاب التى اتخذها إمنحتب عندما أصبح ملكاً أنه كان قانعاً بكونه " المختار من رع " و " المختار من تِم " أو " المختار من آمون "، ويبدو أنه لم يشغله كثيراً سواء كان " الذى يحبه رع " و " انبعاث رع " أو كان " الذى يحبه آمون " و " إنبعاث آمون ". اعتقد أسلافه على عرش مصر – بكل جديَّة – أن الدماء الإلهية تجرى فى عروقهم ، وفعلوا ما ظنّوا أن الآلهة تفعله ؛ فأحاطوا أنفسهم بإجراءات شعائرية محكمة ، تجعل الناس يعتقدون أن ملكهم إله. كل آلهة مصر كانوا سواء عند إمنحتب ، ونرى من النقوش البارزة فى معبد صولب – حوالى خمسين ميلاً بعد {جنوب} بداية الشلال الثانى – أنه كان مستعداً لعبادة نفسه وتقديم الأضحيات لها كما يفعل لآمون ، الذى أعاد بناء المعبد إجلالاً له. من المستحيل أن نفكر فى تأديته كل يوم الشعائر والطقوس – التى يُتوقع أن يؤديها ملك مصر فى محراب آمون رع فى الكرنك – من أجل أن يمنحه الإله القوة والمعرفة الضروريتين لحكم شعبه.

كان زواجه من السيدة تى (أو تاى) – شخصية فريدة ، من الواضح أنه لم تكن لها منزلة عالية أو وضع اجتماعى [٤] – واحداً من أهم الأحداث فى حياته ، وحدثاً مُفعماً بالعواقب بعيدة الأثر. وقد دوّن اسمها فى رسائل تل العمارنة تاى (Teî)

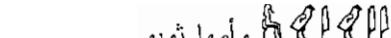 . كان أبوها يُدعى يويو 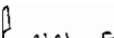 وأمها ثويو 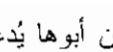 . اكتُشفت مقبرتهما سنة ١٩٠٥ [٥]، ومن الواضح أنهما كانا متواضعين من عامة الشعب قبل زواج ابنتهما من إمنحتب الثالث. كانا من أبناء مصر – وفقاً لإجماع آراء علماء المصريات المعاصرين – وليسا من الأجانب كما افترض علماء المصريات القدامى. على كل حال ، لاشك أن تى كانت امرأة جديرة بالإنتباه وأن تأثيرها على زوجها كان عظيماً. ظهر اسمها فى النقوش جنباً إلى جنب بجوار اسم زوجها ، حقيقة تثبت أنه اعترف بسلطتها كحاكم مساعد له ؛ وساعدت فى الاحتفالات العامة وفى شعائر العبادة بشكل غير مسبوق من ملكات مصر قبل عصرها. كان نفوذها عظيماً داخل القصر وفى البلد عموماً ، ويوجد دليل على أن أوامر الملك – الخاصة والعامة – كانت لا تصدر إلا بعد أن تقرَّها. فى السودان ، عُبد الملك كإله ، وابن وندّ ونظير لآمون رع ، وفى المعبد الذى بناه إمنحتب لها فى سادنجا – حوالى عشرون أو ثلاثون ميلاً جنوب كوشاه – عُبدت تى كإلهة. عندما تزوجها إمنحتب – أو ربما عندما أصبح ملكاً – أمر بصنع عدد من الجعارين الكبيرة بشكل غير معتاد من الاستياتيت {حجر رخو صابونى الملمس}، نُحتت على قواعدها أسماؤه وألقابه جنباً إلى جنب بجوار أسمائها وألقابها [٦]. وعلى مجموعة أخرى من الجعارين الكبيرة ، أمر بنحت أسمائه وألقابه وأسماء تى وأبوها يويو وأمها ثويو ، وأعقب ذلك البيان التالى : "(هى) زوجة الملك المنتصر الذى امتدت أرضه جنوباً حتى كارى (أى نباتا ، عند قاعدة الشلال الرابع) وشمالاً حتى نهارن (أى

لوحة ٥: الملكة تى ، زوج إمنحتب الثالث. من رسم فى كتاب داڤيز Davis عن مقبرتها (لوحة ٣٣).

الأرض التى ينبع منها نهر الفرات)" [٧]. ربما كانت هذه طريقة أخرى للقول بأن الملك العظيم القوى إمنحتب فخور بزواجه من ابنة لأبوين متواضعين فى المَولد ، وبإعطائها مكانة مساوية لمكانته. ومن المحتمل – كما اقترح ماسپيرو Maspero منذ زمن بعيد – أنه يُشار هنا إلى فصل من قصة خيالية إلى حد ما ، مشابهة لما جاء فى القصة القديمة حيث تزوج الملك راعية غنم أحبها. ما هى الآراء الدينية لتى ؟ وما هى الآلهة التى عبدتها ؟ ليست لدينا وسيلة نعرف بها ذلك ، لكن النقش الذى وُجد مكرراً على جعارين كبيرة مختلفة من حجر الاستياتيت توحى بأنها فضلت عبادة آتون ، وأنها فى السنين الأخيرة من حياتها كانت تابعة متحمسة مخلصة لذلك الإله. وحتى يسرَّها ، أمر إمنحتب بصنع بحيرة عظيمة فى أملاكها فى طيبة الغربية سُميت تشعروخا {چعروخا} . كانت أبعاد هذه البحيرة حوالى الميل وثُمن الميل طولاً (٣٧٠٠ ذراعاً) وأكثر من ثُمنى الميل عرضاً (٧٠٠ ذراعاً) {حوالى ١٨٥٠ × ٣٥٠ متراً}، ويحتمل أن مقابلها الحالى هو بركة هابو. فى اليوم السادس عشر من الشهر الثالث من فصل أخِت (أكتوبر)، فى السنة الحادية عشرة من حكمه ، أبحر جلالته على صفحة البحيرة فى القارب المسمى إثن-تحن ، أى " أنوار آتون " {حرفياً: شَرَر آتون}. وفى السنوات التالية أصبح هذا اليوم يوم عيد يُحتفل به. صنعت تلك البحيرة وذلك القارب ليبعثا السرور فى نفس الملكة ، أما حقيقة أن اسم آتون شكل جزءاً من اسم القارب – بدلاً من آمون – فتُظهر أن كلا الملك والملكة رغبا فى تمجيد هذا الإله الشمسى. والواقع أن

ماسپيرو Maspero قرر بالتحديد أن هذا الموكب المائى للملك سجَّل تدشين عبادة آتون فى طيبة ، ومن المحتمل أنه مصيب فى ذلك.

ولدت تى لإمنحتب أربعة من البنات وولداً واحداً ؛ أما البنات فهن : أست وهنتَانب وسات اِمن وباكتن اِتن ، وأما الولد فهو إمنحتب الرابع ، إخناتون الشهير {فى الأصل: ياخون اِتن}. عاشت تى فى طيبة الغربية طوال حياة زوجها ، واستمرت فى ذلك بعد موته. زارت تل العمارنة من وقت لآخر ، وكانت هناك فى السنة الثانية عشرة من حكم ابنها. ويوجد لها رسم ممتاز تم نسخه فى اللوحة رقم ٣٣ من كتاب السيد داڤيز Davis عن مقبرتها.

لكن احترامه لتى وتشريفه إياها لم يمنعا إمنحتب من الزواج بأخريات ، ونعرف من رسائل تل العمارنة {هى فى الأصل والحقيقة: ألواح ..} أنه تزوج أخت وبنت توشراتَا ملك ميتانى. وقد تم زواجه من چيلوخيپا بنت شوتارنا وأخت توشراتَا فى السنة العاشرة من حكمه. وقد احتفل بهذه المناسبة بعمل مجموعة من الجعارين الكبيرة حُفر على قواعدها بيان أنه فى السنة العاشرة من حكمه وصلت چيلوخيپا ، بنت شوتارنا ، أمير نهرنا ، إلى مصر مع نسائها و ٣١٧ شخصاً من مرافقيها {حرسها} [٨]. لا يُعرف بالضبط متى تزوج إمنحتب تاتومخيپا بنت توشراتَا ، لكن من المؤكد أنه تلقى معها هدايا كثيرة من أبيها ، إذ يحتوى لوح مكتوب (رقم ٢٩٦ فى متحف برلين) على قائمة طويلة لهدايا أبيها لها بمناسبة الزفاف. حذا إمنحتب حذو أبيه تحتمس الرابع فى الزواج من أميرات ميتانى ، إذ كانت زوجته – التى دعاها المصريون

موت م ويا – من أهل ذلك البلد. يتبع ذلك بالطبع أن تأثير هؤلاء الأميرات الأجنبيات على الملك لابد أنه كان تأثيراً جديراً بالإعتبار فى بلاط طيبة ، وأنهن وكبار الموظفين والسيدات الذين حضروا معهن إلى مصر فضّلوا بغير شك عبادة آلهتهم القومية على عبادة آمون طيبة. تعلم ابن تى – إمنحتب الرابع – وأخواته وكوّنوا آراءهم الدينية مبكراً ، ويحتمل أن بُغض الأمير لآمون وكهنته المتغطرسين يرجع تاريخه للزمن الذى اتصل فيه بأميرات ميتانى ، وعرف ميثراس وإندرا وڤارونا والآلهة الآرية الأخرى ، الذين تشبه عبادتهم – فى الكثير من النواحى – عبادة رع وتِم والآلهة الشمسية المصرية الأخرى.

خلال سِنى حكمه الأولى ، بدَّد إمنحتب قسطاً عظيماً من وقته فى الصيد ، وحتى يسجل مآثره فى الصحراء أمر بصنع مجموعتين من الجعارين الكبيرة. نُحت على قواعدها تفاصيل الصيد وعدد الحيوانات التى قتلها. تخبرنا مجموعة منهما – " جعارين الصيد " – أن رسالة وصلته لتخبره أن قطيعاً من الماشية البرية شوهد فى مصر السفلى. فخرج بغير توانٍ ليسافر فى مركب ، وأبحر طوال الليل ليصل فى الصباح قرب مكانها. قام الناس بعمل سياج من الحبال والأوتاد ، وبعدئذ – وبشكل أفريقى حقيقى – قاموا بتطويق القطيع وأجبروا الحيوانات الخائفة بالصياح والصراخ على الدخول فيه. فى المناسبة التى تسجلها الجعارين ، أُجبر ١٧٠ من الماشية البرية على الدخول داخل السياج ، وآنذاك قاد الملك مركبته

الحربية بينهم وقتل ٥٦ منها. وبعد أيام قليلة قتل عشرين آخرين. حدثت هذه المذبحة [٩] فى السنة الثانية من عهد إمنحتب [١٠].

لوحة ٦: جعران كبير من حجر الاستياتيت يسجل ذبح إمنحتب الثالث لمائتين وستة وعشرين من الماشية. المتحف البريطانى (الحجرة الرابعة للمصريات ، منضدة العرض **B** ، رقم ٥٥٥٨٥).

صُنعت مجموعة " جعارين الصيد " الأخرى فى السنة العاشرة من حكمه ، وبعد سرد أسماء وألقاب إمنحتب وزوجه تى ، يقرر النقش أنه من السنة الأولى وحتى السنة العاشرة من حكمه رمى بيده ١٠٢ أسداً متوحشاً [١١]. لم يستخدم ملك آخر لمصر الجعران كأداة نقل للإعلان عن مآثره الشخصية وشئونه الخاصة. يبدو بوضوح أن إمنحتب لديه مبرر ما ليفعل هذا ، أمَّا إذا كان هذا ليجعل الرمز الدينى لخيرى دنيوياً ، أو ليفرغ فى قالب السخرية الجيدة طوراً ما من عقيدة مصرية وطنية فكر فيها باستخفاف ، فإن هذا الاستخدام للجعران يتعذر تفسيره.

يبقى عهد إمنحتب الثالث وحده فريداً فى التاريخ المصرى. فعندما اعتلى العرش وجد نفسه السيد المطلق لسوريا وفينيقيا ومصر والسودان المصرى جنوباً حتى نباتا. قهر سلفه العظيم تحتمس الثالث العالم ، كما عرفه المصريون. وباستثناء " الحرب " التى شنها على النوبة فى السنة الخامسة من عهده لم يحتَج إلى توجيه أية ضربة ليحافظ على ما ظفر به تحتمس الثالث. وهذه " الحرب " كانت مسألة غير مهمة نسبياً ، أثارتها ثورة بعض القبائل التى تقيم قرب نهاية الشلال الثانى. ووفقاً لما تم تسجيله على لوح الحجر الرملى الذى أقامه إمنحتب احتفالاً بمناسبة نصره ، فقد أسر ٧٤٠ أسيراً فقط وقتل ٣١٢ متمرداً [١٢]. ثم قام بعمل جولة ملكية فى أنحاء السودان ، ولم يكتف الأمراء والنبلاء بالترحيب بسيدهم الأعلى بل عبدوه كإله لهم. وأرسلوا إليه فى طيبة ، العام تلو الآخر – تحت إشراف نائب الملك المصرى على كاش {كوش}[١٣]، كميات لا تُعد ولا تُحصى من الذهب

والأحجار الكريمة ، والأخشاب القيّمة ، وجلود الحيوانات ، والعبيد. وعندما زار فينيقيا وسوريا والبلاد المجاورة لهما رحب به الشيوخ وقبائلهم واعترفوا به ملكاً لهم ، ودفعوا الجزية بلا تردد. وتنافس الزعماء المستقلون الكبار لبابل وآشور وميتانى مع بعضهم فى التماس صداقته ، ويحتمل أن أسعد أوقات حياته المليئة بالملذات هى الفترات التى قضاها بين أصدقائه وحلفائه فى بلاد ما بين النهرين. إذ يمكن بسهولة تخيل ابتهاجه بصيد الأسد فى الصحراء جنوب سنجار وفى الأدغال بجانب نهر خابور ، وقد أكسبه حبه للمطاردة والصيد الكثير من الأصدقاء بين شيوخ بلاد ما بين النهرين. نشّطت زياراته لغرب آسيا التجارة ، إذ استطاعت القوافل أن تسافر إلى مصر ومنها بغير منع أو إعاقة ، وتقاطرت - فى هذه الأيام - حشود التجار والمتاجرين من جزر وسواحل البحر المتوسط إلى مصر ، حيث كان الذهب مثل التراب من كثرته.

خصّص إمنحتب جزءاً كبيراً من الثروة التى ورثها ، والريع الذى يتسلمه سنوياً من دافعى الجزية ، لتوسيع وتجميل معابد طيبة. كانت لديه أفكار كبيرة ، وأحب النتائج العظيمة والرائعة ، ولم يضنّ بالجهد أو المال فى سبيلها. وظّف أعظم المعماريين والمهندسين وأفضل العمال ، وأطلق يدهم أكثر مما فعلت حتشبسوت مع معماريّها سنموت. قام بإضافات عظيمة لمعبد الكرنك على الضفة الشرقية {للنيل}، وبنى طريقاً من النهر إلى المعبد ، وأقام مسلات وتماثيل لنفسه. أكمل معبد موت وصنع بحيرة مقدسة تجرى عليها مواكب دينية فى قوارب. وربط معبدى الكرنك والأقصر

بطريق كباش {لها رأس كبش على جسم أسد "أبو الهول"}، يمسك كل منها تمثالاً له بين كفيه ، وبنى فى {معبد} الأقصر صف الأعمدة المشهور ، الذى ما زال حتى يومنا هذا واحداً من أدق وأروع الأشياء من هذا النوع فى مصر. وبنى على الضفة الغربية معبداً جنائزياً رائعاً ، وأقام أمام بوابته مسلَّتين وتمثالين هائلين لنفسه ، هما المعروفان الآن بإسم " تمثالى ممنون ". وشق طريقاً من النهر إلى المعبد ، على جانبيه اصطفت تماثيل حجرية لابن آوى. وبنى أيضاً – على جزيرة إلفنتين – معبداً تمجيداً لخنمو ، الإله العظيم للشلال الأول. وكما ذكرنا من قبل ، فقد جدَّد وأضاف الكثير للمعبد الذى أسَّسه تحتمس الثالث فى صولب. كل هذه المعابد تم تزويدها بأبواب مكسوَّة بصفائح معدنية ، يبدو أن بعض أجزائها كانت مزخرفة بتطعيم ثمين ، كما استُخدمت الألوان بسخاء فى عملية الزخرفة. مكَّنت الموارد المالية التى دبرها الملك من توظيف عمالة غير محدودة ، ولابد أن معظم رعاياه كسبوا رزقهم بالعمل من أجل آمون والملك. فى عهد ولى نِعَم مثل هذا ، ازدهرت الفنون والحرف ، وأنتج الصنَّاع المهرة من الحجر والخشب والنحاس والفاينس ما لم يره أحد قط قبل ذلك فى مصر. تراسل إمنحتب مع أصدقائه فى بابل وميتانى وسوريا طوال عهده ، وقد أعطى وصول ومغادرة المبعوثين الملكيين الفرصة لإظهار كرم الضيافة للجميع بسخاء ، واستعراض الثروة وكل ما تنتجه. لابد أن الاستقبالات فى قصره المزخرف زخرفة جميلة فى الضفة الغربية للنهر كانت حفلات رائعة مثلما يحب الشرقى. أنفق الملك ثروته بشكل ملكى ، وبعدة طرق ،

يحتمل أنها نتيجة الدم الميتانى الذى تدفق فى عروقه ، فكانت شخصيته شخصية شيخ من بلاد ما بين النهرين مستبد حَسَن النية ، غنى محب للترف ، رخىّ البال ، أكثر منها شخصية ملك لمصر. لقَّبه هول Hall لقباً ملائماً تماماً له فقال " إمنحتب الرائع ". تُوفى بعد حُكم دام حوالى ست وثلاثين سنة ، ودفن فى مقبرته فى الوادى الغربى بطيبة {بجوار وادى الملوك}. توجد بها على جدران الحجرات مشاهد تمثل الملك متعبداً لآلهة العالم الآخر ، وعلى السقف رسومات فلكية ملونة ممتعة للغاية. لم تكن المقبرة مكتملة عندما دفن الملك فيها. نهبها لصوص المقابر المحترفون ، ونقلت الحكومة فى ذلك الزمان مومياءه إلى مقبرة إمنحتب الثانى ، حيث عثر عليها لوريه Loret سنة ١٨٩٩. هكذا وأياً كانت الآراء التى ربما تمسَّك بها إمنحتب الثالث عن آتون ، فقد دفن فى طيبة الغربية بكل الأبهة والمراسم الاحتفالية التى تلائم فرعوناً رشيداً {ملتزماً بدين الآباء}.

---

*هامش للمترجم : لمن يرغب فى الإطلاع على النص الهيروغليفى من بردية آنى وترجمته ، أنظر : E.A.Wallis Budge, The Egyptian Book of The Dead, 1895 (Dover Edition, 1967), Plate VII (part), pp. 28-31 & 281-282.

١- لوح بيعنخى ، ١. ١٠٢.

٢- 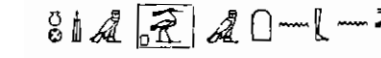

نصوص الأهرام Pyramid Texts, II. N. 663, p. 372.

٣- هامش للمترجم : لقراءة المزيد عن طائر بنَو أنظر E.A.Wallis Budge, From Fetish to God in Ancient Egypt, 1934 (Dover Edition, 1988), pp. 89-90.

وبالبحث عن نوع هذا الطائر المميز الشكل وجدنا جاردنر يذكر أنه أحد نوعين من البلشون Heron (*Ardea cinerea* or *A. purpurea*) وذلك فى كتابه Alan Gardiner, Egyptian Grammar. 1927, Oxford University Press, Third Edition 1957 (Reprinted 1973), p. 470.

وقد مكنتنا عدة مراجع فى علم الطيور أهمها M.E.Tharwat, Birds known to occur in Egypt, Nat.Bio.Unit 8, 1997, p. 13 من تحديد النوع بشكل مقنع على أنه البلشون الرمادى : Gray Heron, *Ardea cinerea cinerea* Linnaeus, 1758

٤- أنظر Davis, *The Tomb of Queen Tîyi*, London, 1910.

٥- أنظر Davis, *Tomb of Iouiya and Touiyou*, London, 1907.

٦- على سبيل المثال أنظر رقم ٤٠٩٤ فى المتحف البريطانى (الحجرة الرابعة للمصريات ، منضدة العرض **B**).

٧- أنظر رقمى ٤٠٩٦ و ١٦٩٨٨ فى المتحف البريطانى.

٨- أنظر رقم ٤٩٧٠٧ فى المتحف البريطانى.

٩- هامش للمترجم : فى الأصل *battue* لفظ فرنسى ، يستخدم للدلالة على صيد ما يتم إطلاقه من محبسه أو ما يتم دفعه نحو الصياد.

١٠- من أجل مثال رائع من هذه المجموعة من الجعارين ، أنظر رقم ٥٥٥٨٥ فى المتحف البريطانى. (أنظر لوحة ٦ فى هذا الكتاب)

١١- توجد أمثلة رائعة فى المتحف البريطانى ، تحت أرقام ٤٠٩٥ و ١٢٥٢٠ و ٢٤١٦٩ و ٢٩٤٣٨.

١٢- هذا اللوح صنعه مرى مس ، نائب الملك لشمال السودان ، وأقامه فى سمنة ، حوالى ٣٠ ميلاً جنوب وادى حلفا. وهو الآن فى المتحف البريطانى. (القاعة الشمالية للآثار المصرية ، رقم ٤١١ ، جناح ٦) له رسم توضيحى فى *الدليل* ، ص ١١٥.

١٣- هامش للمترجم : ورد اسم النوبة هنا على أنه كاش Kash ، على الرغم من وروده فى فصل (عهد توت عنخ آمون) بهجاء أخر هو كيش Kesh . وبالرجوع إلى E.A.Wallis Budge, An Egyptian Hieroglyphic Dictionary, 1920 (Dover Edition, 1978), p. 392a نجد فى مادة Nesu التعبير التالى prince of Kash, i.e., viceroy of Nubia أمير كاش ، أى نائب الملك على النوبة. ويتكون فيه اسم النوبة من حرفين فقط (ك ، ش) يليهما مخصص الأرض الأجنبية . ونظراً لاجتهاد العلماء فى وضع حرف الحركة يحدث الاختلاف فى النطق مثل كاش وكوش وكيش ، إلخ.

تطور عبادة آتون فى عهد إمنحتب الرابع

خلف إمنحتب الثالث ولده من زوجه المحبوبة تى ، الذى اعتلى العرش بإسم إمنحتب الرابع ، ليحكم حوالى سبع عشرة سنة ، وتوفى – ربما – قبل أن يبلغ الثلاثين. ويعتمد هذا التقدير من حيث الدقة على دليل يتمثل فى مومياء شاب تم العثور عليها فى مقبرة الملكة تى ويُعتقد بشكل عام أنها تخص إمنحتب الرابع. يُظن أن هذه المومياء تم نقلها من مقبرة ملكية فى تل العمارنة إلي طيبة عن طريق الخطأ بدلاً من مومياء الملكة تى ودفنها محلها. فحص د. إليوت سميث Dr. Elliot Smith هيكل المومياء وقرر أنها تخص رجلاً عمره ٢٥-٢٦ سنة " مع عدم استبعاد احتمال أنه ربما كان أكبر من ذلك ببضع سنوات ". وأضاف فى شهادته [١] البالغة الأهمية " تُظهر الجمجمة – مع ذلك – بطريقة لا لَبس فيها التشوه المميز لحالة استسقاء الرأس ". وبالتالى إذا كان الهيكل العظمى يخص إمنحتب الرابع ، يكون الملك قد عانى من وجود ماء يضغط على المخ ؛ وإذا كان عمره ٢٦ سنة عند وفاته ، فلابد أنه بدأ الحكم فى سن التاسعة أو العاشرة. إلا أنه يوجد احتمال أنه لم يبدأ الحكم حتى أصبح أكبر من هذا بعدة سنوات.

حتى لو عاش أبوه ، فلم يكن من النوع الذى يعلم ابنه كيف يبارى وينافس أفعال الفراعنة المحاربين مثل تحتمس الثالث ، ولم يكن لديه الموظف الكبير الذى يرشده إلى فنون الحرب ، إذ أن العهد السلمى الطويل لإمنحتب الثالث أنسى المصريين أن الدعة والترف

اللذين نعموا بهما كان ثمنهما الحملات الشاقة والحروب التى شنها أسلافهم. حكمت تى مصر – بالفعل – بضع سنوات بعد موت زوجها ، وفعل الملك الصبى – على الأقل بعض الوقت – ما أمرته به أمه. وزوجه نفرتيتى – التى كانت ابنة أبيه [٢] ، يُحتمل من امرأة من بلاد ما بين النهرين – اختارتها له أمه بلا شك ، ومن الواضح تماماً من الرسومات الجدارية فى تل العمارنة أنه كان واقعاً تحت تأثيرهما لدرجة كبيرة. كان آى – زوج مربيته – كاهناً لآتون ، وأثناء سنيه الباكرة استقى من هذه المجموعة من الأشخاص أساسيات ديانة آتون ومعرفة كبيرة بالعقائد الدينية للسيدات الميتانيات فى البلاط المصرى. التى رسخت فى نفسه وأثمرت ، فكانت النتيجة هى بغضه ليس فقط لآمون – إله طيبة العظيم – بل لكل الآلهة القديمة لمصر ، مع استثناء الآلهة الشمسية لهليوپوليس. أولئك الآلهة الذين شابهوا من عدة نواحٍ الآلهة الآرية التى عبدها قوم جدته ، خاصة ڤارونا الذى – مثل رع – قُدمت له الأضحيات البشرية أحياناً ، والذين مال إلى التعاطف معهم. بالإضافة إلى هذا ، رأى – كما رأى الكثيرون غيره بلا شك – أن كهنة آمون قد استولوا على امتيازات ملكية ، وأصبحوا بثروتهم ودهائهم القوة المسيطرة فى البلاد. وحتى فى ذلك الوقت كان من الصعب معرفة ريع ودخل آمون {أو ثروته}، وتفشّى نفوذ كهنته وعمّ المملكة من نباتا فى الجنوب إلى سوريا فى الشمال.

لوحة ٧: جزء من لوح حجرى ملون عليه نقش شخصى بارز مجوف لإمنحتب الرابع ، تشرق عليه أشعة آتون التى تنتهى بأيادٍ بشرية. المتحف البريطانى ، رقم ٢٤٤٣١.

خلال السنوات الخمس أو الست الأولى من حكمه ، لم يقم إمنحتب الرابع بتغيير يُذكر فى حكومة البلد ، ومن المحتمل أن هذا يرجع إلى توجيه أمه البارع. إلا أن أفعاله فى السنة السادسة من حكمه وما تلاها تثبت أنه على الرغم من أنه كان لا يزال مجرد صبى فقد كان يدرس المسائل الدينية متمعّناً فيها بهمة وحماس ، وبقدر يزيد كثيراً على الفهم الصبيانى. لابد أنه كان ذكياً وإدراكه يسبق سنَّه ، له عقل يعمل بسرعة. كانت له إرادة قوية واعتقاد دينى راسخ محدد وطبيعة لا تهاب. من الواضح أيضاً أنه لم يحتمل المعارضة بسهولة ، واعتقد بصدق فى حقيقة وصدق دوافعه وأعماله. لكنه مع كل هذه المواهب افتقر إلى الدراية العملية بالناس والأشياء. فلم يدرك أبداً الطبيعة الحقيقية للواجبات التى عليه أن يقوم بها تجاه بلده وشعبه ، ولم يفهم أبداً حقائق الحياة. لم يتعلم أبداً صنعة المُلك عند الفراعنة ، وأخفق فى إدراك أن المقاتل وحده هو الذى يمكنه أن يحتفظ بما ناله وكسبه المقاتلون من أجله. بدلاً من أن يرتبط برجال العمل ممن لهم التأثير والفعالية ، جلس عند قدمىّ الكاهن آى ، وشغل عقله بالتأملات الدينية ؛ ولذلك – وبمساعدة أمه الموقرة وقريباتها – أصبح بالتدريج ذلك المتعصب الجرىء الذى أظهرته مقابر وآثار مصر على هذه الصورة. بنيانه البدنى والظروف المحيطة به أوصلاه إلى ما كان عليه. فى السنوات الأخيرة ، تم وصفه بأوصاف مثل ما يلى: " المثالى العظيم " و " المصلح العظيم " و " الثائر الأول فى العالم " و " أول فرد متميز فى تاريخ البشرية " إلخ. لكن – فى ضوء الحقائق التاريخية

المعروفة ، وملاحظات د. اليوت سميث التى اقتبسنا بعضها فيما سبق عن تشوه جمجمة إمنحتب الرابع – فهناك ما يبرر تماماً تساؤلنا مع د. هول إذا ما كان الملك " ليس حقاً نصف مخبول "[٣]. فلا أحد سوى إنسان نصف مخبول يصيبه العمى على هذا النحو فى مواجهة الحقائق ليحاول الإطاحة بآمون وعبادته ، وهو محور الحياة الاجتماعية بأسرها. لقد عانى – على الأقل – من الهوس الدينى ، وجعلته الغطرسة الروحية والاكتفاء الذاتى غافلاً عن كل شىء سوى مشاعره وانفعالاته.

لوحة ٨: جزء من رأس تمثال شخصى لإمنحتب الرابع.
المتحف البريطانى ، رقم ١٣٣٦٦.

عندما عزم وصمَّم على أنه لابد من محو وإزاحة آمون وكل " آلهة " مصر الأخرى ، قرر إمنحتب الرابع أن يشرع فى هذا العمل بدون تأخير. وتوصل بعد سنوات من التفكير إلى حكم نهائى ، أن الآلهة الشمسية فقط – تِم ورع وحورس الأفقين – هى الجديرة بالتعظيم والاحترام ، وأن شكلاً ما من أشكال عبادتهم ينبغى أن يحل محل عبادة آمون. وكان شكل إله الشمس الذى اختاره للعبادة هو آتون ، أى قُرص الشمس ، الذى كان مقر إقامة تِم ثم رع هليوبوليس فيما بعد. لكن القُرص لم يكن بالنسبة له مقر إقامة إله الشمس فقط ، بل الإله نفسه ، الذى يهب الحياة لكل شىء على سطح الأرض ، بواسطة الحرارة والنور اللذين ينبعثان من جسده. نَسَبَ إمنحتب لآتون خصائص الآلهة القديمة تِم ورع وحورس وپتاح وآمون نفسه وأعلن أن آتون " واحد " و " أحد ". وهذا ما صرَّح به أيضاً كل كهنة الآلهة القديمة ، تِم وخپرى وخنم ورع ، وفيما بعد كهنة آمون. أعلن عباد كل إله عظيم فى مصر – منذ عهد سحيق – أن إلههم " واحد ". فكانت " الوحدانية " – على ما يبدو – من خصائص كل المعبودات فى مصر ، تماماً كما هى فى بعض مناطق الهند. لا يُتصور أن إمنحتب الرابع عرف بوجود شموس أخرى بالإضافة إلى الشمس التى رآها ، ومن الواضح أن آتون – قُرص الشمس – كان واحداً أحداً ، لا نظير له ولا ند. ويلقى اللقب الذى أطلقه عليه إمنحتب بعض الضوء على آرائه عن طبيعة إلهه. كُتب هذا اللقب داخل خرطوشتين ويُقرأ: " حورس الحى فى الأفقين ، المجيد فى الأفق الشرقى ، فى اسمه شو–الذى–هو–فى–القُرص ".

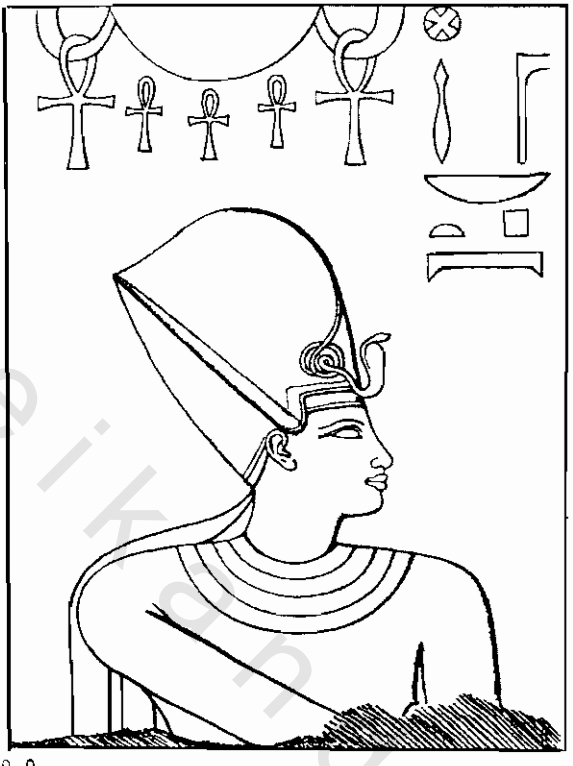

آتون ، الإله العظيم ، سيد السماء ، الذى تنبعث منه " الحياة " ☥☥☥ ؛ وأسفله إمنحتب الرابع فى شكل الفرعون التقليدى.

وتأتى بعده هذه الكلمات: " الحى دائماً ، الأبدى ، القُرص الحى العظيم ، هو الذى فى احتفال سد [٤]، سيد الدائرة (أى كل شىء يُشرق عليه القُرص فى كل اتجاه)، سيد القُرص ، سيد السماء ، سيد الأرض ". عَبَدَ إمنحتب الرابع حورس الأفقين بوصفه " شو الذى كان فى القُرص ". إذا كان علينا أن نعتبر " شو " إسماً عادياً (وليس

اسم علم}، يجب أن نترجمه إلى " حرارة " أو " حرارة ونور "، لأن هذه الكلمة لها هذان المعنيان. فى هذه الحالة عبد إمنحتب حرارة الشمس ، أو الحرارة والنور الملازمين للقُرص. ونعرف الآن من نصوص الأهرام أن تِم أو تِم رع خلق إلهاً وإلهة من انبعاثات أو مادة جسده ، وأنهما سُميا " شو " و " تفنوت "، الأول كان الحرارة التى تشع من جسد الإله ، والأخير الرطوبة. خلق شو وتفنوت جب (الأرض) ونوت (السماء)، اللذين أنتجا بدورهما أوزيريس – إله نهر النيل – وست – إله الموت والفساد الطبيعى {العفن أو التحلل} – ونظيريهما أو ظلّيهما إيزيس ونفثيس. أمّا إذا اعتبرنا " شو " إسم علم فى لقب إله إمنحتب ، فسنحصل على نفس النتيجة ، ويمكننا فقط أن نفترض أن الملك ألَّه حرارة الشمس ، وعبدها على أنها القوة الوحيدة الأبدية ، الخلاقة ، المثمرة ، التى تساند وتدعم الحياة. لقد جعلت تقاليد هليوبوليس القديمة تِم أو تِم رع ، أو خبرى ، خالقاً لآتون القُرص ، لكن إمنحتب الرابع رفض هذا الرأى ، وأكَّد أن القُرص خلق نفسه ورزقها معاشها. كان الرمز العام للآلهة الشمسية قُرصاً أحاط به ثعبان ، إلا أن إمنحتب ألغى الثعبان عندما اتخذ القُرص رمزاً لإلهه ، وعامل القُرص بطريقة جديدة مبتكرة. فأضاف إلى القُرص الذى تعلَّقت بمحيطه الخارجى وحوله أحياناً علامات " الحياة ☥ "، سلسلة متتالية من الأشعة الهابطة ، وفى نهاية كل شعاع يد ، كما لو كان الشعاع ذراعاً ، تمنح " الحياة " على الأرض. {يمكننا أن نرى هذا التصميم فى أكثر من رسم فى الفصل الحالى}

حقيت ، إلهة لها رأس ضفدع ، • إحدى أعضاء مُثَمَّن توت {جماعة الثمانية}.

لم يصبح هذا الرمز شعبياً شائعاً فى البلاد بأى حال ، وفضلت الأمة بأسرها أن تعتقد أن إله الشمس ينتقل عبر السماء فى مركبتين ، سكتت وإتت. ولم يَرُق شكل عبادة هليوبوليس القديمة لإله الشمس التى طوَّرها إمنحتب أبداً للمصريين ، لأنها كانت فلسفية أكثر مما ينبغى ومن المحتمل أنها كانت مؤسسة على مبادىء ذات أصل أجنبى مقصورة على فئة خاصة. كان حِر وسوتى – المشرفان العظيمان على معابد آمون فى طيبة – قانعين بالإقتداء بملكهما إمنحتب الثالث ، يركعان لآتون ويُنشدان له – مثل بقية الموظفين – ترتيلة تمجيد. لكنهما عرفا الطبيعة المتسامحة لآراء سيدهما الدينية ، وأنه كان فى الظاهر – على الأقل – تابعاً مخلصاً لآمون ، الذى كانت دماؤه – وفقاً لعقيدة كهنته – تجرى فى عروق الملك. لم يكن هناك فرق بالنسبة لإمنحتب الثالث أن يكون إلهاً ، فلم يزده ذلك ولم

obeikandl.com

ينقص منه ، واعتبر أنه من الطبيعي تماماً أن يقوم كهنة كل إله بتمجيد وتعظيم قوة إلههم. كان راضياً بأن يكون نظيراً لآمون ، وأن يتلقى العبادة الرسمية مثله. لكن الأمر اختلف مع ابنه. منحته حرارة آتون الحياة وحفظتها له ، وبينما كانت فيه كان آتون بداخله. كانت حياة آتون حياته ، وكانت حياته حياة آتون ، ولذلك كان هو نفسه آتون ؛ جعلته غطرسته الروحية يعتقد أنه تجسيد لآتون ، أى أنه الإله – ليس مجرد " إله " أو أحد " آلهة " مصر – وأن أفعاله إلهية. لذلك شعر أنه لا داعى لأن يذهب إلى معبد آمون لتلقّى المدد اليومى من " سائل الحياة "، الذى لم يحافظ فقط على القوى البدنية للملوك ، بل منحهم الحكمة والذكاء ليحكموا بلدهم. وبهدوء أقل سمح للكاهن الأكبر لآمون أن يكون وكيله {الدينى}. وفى النهاية قرّر أن آمون والآلهة يجب أن يُبعدوا وأن تلغى كل عقائد وتعاليم كهنتهم ، ويجب أن يُنادى بآتون الإله الواحد ، خالق نفسه ، ورازقها معاشها ، الذى أوجد نفسه ، وأنه {أى إمنحتب الرابع} ابنه ونائبه.

من الواضح أنه بدأ بناء معبد جم–اتن فى پر–اتن ، فى طيبة ، بدون الأخذ فى الاعتبار التأثير المحتمل لقراره عندما تمت ترجمته إلى فعل. وكان فى المعبد حجرة أو مقام ، وُضع فيها " بن " أو " بنبن " أى " حجر الشمس "، وبفعله هذا سار على نهج كهنة هليوپوليس. اختار لهذا المعبد قطعة أرض فى منتصف الطريق تقريباً بين معبدى الكرنك والأقصر. وقرر أن هذا المعبد سيكون مركزاً لعبادة آتون ، التى يجب أن تكون من الآن فصاعداً الديانة الوحيدة لبلده. يمكن بسهولة تخيل تأثير ما

فعله الملك على كهنة آمون والناس فى طيبة ، عندما نتذكر أنه مع سقوط آمون تتقطع أسباب معاشهم. لكن إمنحتب كان ملكاً ، تجرى دماء إله الشمس فى عروقه ، وكان الفرعون حاكماً ومالكاً لمصر كلها ، ولكل شخص أو شىء فيها. لم يستطع الكهنة أو الناس سواءً بسواء أن يقفوا أمام إرادته ، ومع أنهم لعنوا آتون والمتعصبين لعبادته ، لم يتمكنوا من منع مصادرة ممتلكات آمون وإبطال طقوسه الدينية. لم يقنع إمنحتب بهذا ، فأمر بإزالة اسم آمون من على الآثار، وحتى من اسم أبيه فى بعض الحالات ، وكثيراً ما حُذفت كلمة " آلهة " أيضاً. ليس فقط حتى لا يكون هناك آمون ، بل حتى لا يكون هناك آلهة ؛ ليكون آتون هو الإله الوحيد الذى يجب أن يُعبد.

لوحة ٩: أبو الهول ، برأس إمنحتب الرابع ، يقدم ماعت قرباناً لآتون.

يمكن بسهولة تصور نتيجة إعلان هذا المرسوم. امتلأت طيبة بغمغمة المتذمرين من أتباع آمون من كل الطبقات ، وعندما اكتمل معبد آتون ، وافتُتح لعبادة الإله الجديد ، تحولت الغمغمات إلى تهديدات ولعنات ، وملأ الجدال بين الأمونيين والأتونيين المدينة. ما الذى حدث بالضبط ؟ لم ولن نعرفه مطلقاً ، لكن نتيجة الفوضى والاضطراب أن إمنحتب الرابع وجد الإقامة فى طيبة مستحيلة ، وقرر أن يغادرها ، وأن ينقل البلاط الملكى إلى مكان آخر. لا نستطيع أن نحدد هل اضطُر لأخذ هذه الخطوة خوفاً على سلامته وسلامة أسرته ، أو رغبةً فى إلحاق المزيد من الإهانة والإضرار بآمون وكهنته ، لكن السبب الذى حثَّه على هجر عاصمته وتدمير أهميتها كذلك ، يجب أن يكون سبباً قوياً جداً ومُلِحاً. لمَّا قرر أن يغادر طيبة ، بحث عن موقع لعاصمته الجديدة ، التى نوى أن يجعلها مدينة الإله ، ووجده فى الشمال ، فى مكان يبعد حوالى ١٦٠ ميلاً جنوب القاهرة و ٥٠ ميلاً شمال أسيوط. فى هذه النقطة ، على الضفة الشرقية للنيل ، تحيط التلال بالأرض السهلة التى يكسوها الرمل الأصفر الناعم. كانت الأرض بِكراً ، لم تُدنَّس أبداً بمعابد آلهة مصر التى كرهها إمنحتب الرابع أو أى مبانٍ أخرى تتصل بها ، وكان السهل نفسه مناسباً للغاية كموقع لمدينة ، لأن مسطحه متصل لا تقطعه تلال أو عروق من الحجر الجيرى أو الحجر الرملى. قارَبَ عرضه – فى أوسع أجزائه – الثلاثة أميال شرق مجرى النيل وحوالى خمسة أميال طولاً. وامتد السهل على الجانب الآخر من النهر ، من النيل إلى التلال الغربية ، باتساع يفوق كثيراً ما هو

موجود على الضفة الشرقية ، وضمَّه الملك أيضاً إلى مساحة عاصمته الجديدة. ونصَبَ ألواحاً كبيرة على تخومها ليميز حدود إقليم آتون ، وعلى الألواح نقوش محفورة تقرر هذه الحقيقة.

علمنا مما سبق أن إمنحتب الرابع أمر بإزالة اسم آمون – كلما أمكن – من الألواح والتماثيل والآثار الأخرى ، وحتى من خرطوشات اسم أبيه ، بينما شكَّل اسم آمون فى نفس الوقت جزءاً من اسمه كابن لرع. كان من السهل أن يعالج هذا التناقض ، وقد فعل ، فغيَّر اسمه من إمنحتب – الذى يعنى " آمون راضٍ أو قانع "- إلى اسم اِاَخون اِتن 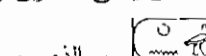 ، الذى يجب أن يعنى – بالقياس على اسمه القديم – شيئاً مثل " آتون راضٍ أو قانع ". وقد اقترح هذا المعنى من قبل أكثر من واحد من علماء المصريات ، لكن مازال هناك ما يمكن قوله للاحتفاظ بالترجمة القديمة ، " روح آتون ". فأنا أدون الاسم الجديد لإمنحتب الرابع ، ليُقرأ اِاَخون اِتن ، بدون أى رغبة فى أن أضيف جديداً إلى القراءات الكثيرة التى اقتُرحت له من قبل ، فقط لأن هذه القراءة تمثل الرموز الهيروغليفية بدقة كبيرة. إذ تُرينا نصوص الأهرام أن قيمة الصوتية هى أو . تمثل العلامة الأولى حركة قصيرة هى الفتحة أو الكسرة أو ما بينهما (ă, ĕ, ĭ)، والعلامة الثانية مثل حرف الألف ، والثالثة حرف الخاء ، والرابعة حرف الواو ، لذلك كانت قيمة الصوتية فى عصر الأهرام هى اِاَخ أو اِاَخو ، لكن يُحتمل أن قد حُذفت فى عصور متأخرة ، حينئذ أصبحت قيمة

الصوتية آخ ، كما قرأها برتش Birch منذ ستين سنة {١٨٦٣ تقريباً}. إذا كان هذا صحيحاً ، تكون القراءة الصحيحة للإسم هى " آخن اِتن ". نحن لا نعرف ولن نعرف أبداً كيف نُطق الاسم ، لكن لا توجد أرضية قوية لفكرة أن " إخناتون " أو " إخ-ن-أتون " هو النطق الصحيح. وربما لاحظنا عرضاً أن اِتن لا صلة له باللفظ الساميّ " أذون = سيد ". {لابد من تذكير القارىء بأننا نستخدم اسم إخناتون بهذا الهجاء المألوف تيسيراً عليه.}

(ب) (أ)

أ- ماعت ، إلهة الحق ، والواقع الحقيقى ، والقضاء {العدالة}- مادياً وروحياً ، والنظام ، والاستقامة ، والأمانة ، وسلامة الخلق ، إلخ.

ب- توت ، سيد كتابة الآلهة ، أى الهيروغليفية. هو عقل الإله البدائى ، الذى ترجم إرادته إلى كلام.

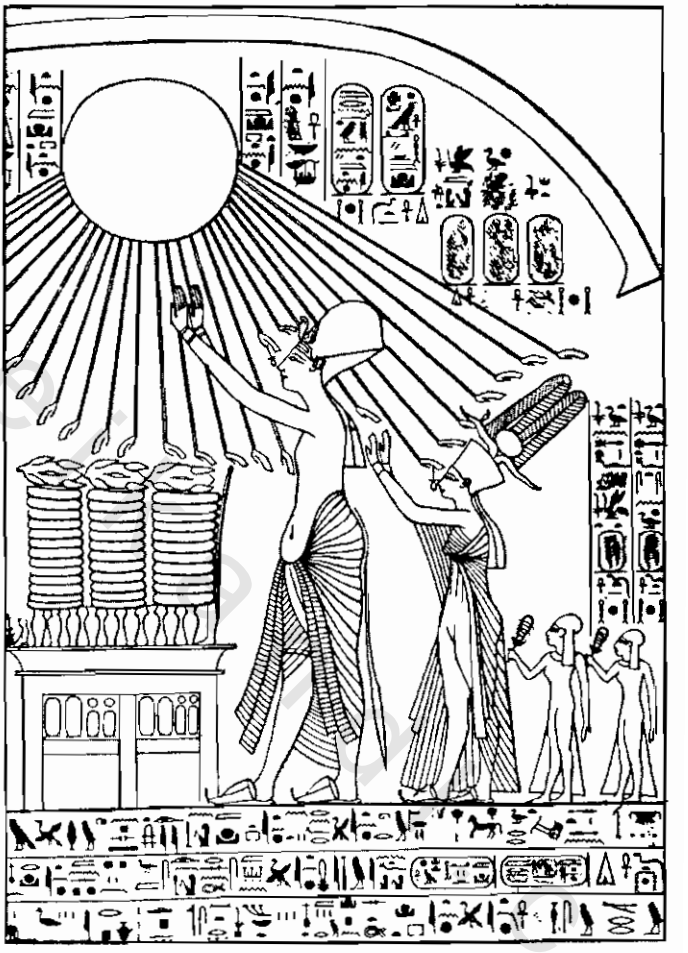

إمنحتب الرابع ، ترافقه ملكته والأسرة ، يقدمون القرابين لآتون.

اتخذ إمنحتب الرابع لنفسه فى هذا الوقت لقبين متصلين باسمه الجديد ، هما " عنخ-م-ماعت " و " عا-م-عحع-ف "، ومعنى

الأول " الحىّ فى الحق " والأخير " العظيم فى حياته ". والمقصود بلقب " الحىّ فى الحق " غير واضح بالضبط. ماعت تعنى ما هو مستقيم ، حقيقى ، واقعى ، شرعى {حرفياً: قانون}، مادياً وأخلاقياً ، الحق ، والواقع الحقيقى ، إلخ. فيمكن أن يعنى بالكاد " الذى يحيا فى القانون أو بجانبه "، لأنه كان قانون نفسه ، لكن يحتمل أنه قصد أنه وجد الحق أو الشىء الحقيقى فى الآتونية ، وأن كل ما عداها من دين وهم ورياء. عاش آتون فى ماعت ، أو فى الحق والحقيقة ، والملك – بما فى داخله من جوهر آتون – يصنع صنيعه. المعنى الدقيق الذى ألحقه إمنحتب الرابع باللقب الآخر " العظيم فى حياته " غير واضح أيضاً. فقد كان – مثل كل فرعون سبقه – ابناً لرع ، لكنه لم يزعم – كما فعلوا – أنه " يعيش للأبد مثل رع "، واكتفى بتأكيد أن عمره مديد. أطلق إمنحتب الرابع على عاصمته الجديدة اسم اَخوت اِتن ، أى " أفق آتون "، واعتبرها هو وأتباعه المكان الوحيد الذى يوجد فيه آتون. كانت بالنسبة لهم الرمز المرئى لبهاء وإحسان وحب الإله. أبهج مرآها قلوب كل مشاهديها ، وجمالها – كما أعلنوا – لا نظير له. كانت بالنسبة لهم مثل بابل للبابليين ، وأورشليم للعبريين ، ومكة للعرب ؛ المعيشة هناك ومشاهدة الملك – ابن آتون – مغموراً بأشعة آتون واهبة الحياة ذات الأيادى العديدة ، شىء من نعيم الجَنَّة ، ومع ذلك لم يتلطف أىّ من كتاب التراتيل المقدمة لآتون فيخبرنا عن شكل هذه الجنة التى أشاروا إليها بطريقة سطحية. ما أن اتخذ إمنحتب هذه المدينة مقراً له ، حتى بدأ العمل فى تنظيم عبادة آتون ، ونشر دستوره ، الذى أسماه – مثل

كل كُتَّاب الحكم الأخلاقية والدينية – " التعاليم "، سبايت . ثم عيَّن نفسه كاهناً أعلى ، واتخذ لنفسه – ويا للعجب – اللقب القديم للكاهن الأعلى لهليوبوليس ، ودعا نفسه " أور–مآ " أى " العرَّاف العظيم ". لكنه فى نفس الوقت لم يسنّ الشعائر والطقوس نصف السحرية القديمة التى أدَّاها حاملوا اللقب فى هليوبوليس. لم يستمر فى المنصب طويلاً ، بل حوّله إلى مرى رع ، أحد أتباعه المخلصين.

يبدو أنه عندما كان مجرد صبى – ربما قبل أن يعتلى العرش وينبذ اسم إمنحتب – حلم ببناء معابد لآتون ، وهكذا عندما اتخذ من مدينته الجديدة مقراً له بدأ يوماً العمل فى بناء حرم لذلك الإله. كان بِك أحد أتباعه المخلصين مهندساً معمارياً ورئيساً للبنَّائين ادَّعى أنه تلميذ الملك ، وكان بلا شك رجلاً ماهراً ذوَاقة. أرسله الملك إلى سون Sun {أسوان} – سايين Syene عند كُتَّاب الإغريق°– ليحضر أحجاراً لمعبد آتون ، ومن المنطقى أن نعتقد أنه بعد انتهاء البناء تمت زخرفة الجدران بشكل بالغ الروعة بالنحت واللوحات الملونة بألوان زاهية. وتم بناء معبد ثانٍ لآتون من أجل الملكة الأم تى ، وثالث للأميرة باكتن آتون {باكت ن إتن}، إحدى بناتها ؛ ويجب أن نتوقع أن معبداً أو أكثر تم بناؤه فى النصف الغربى من المدينة على الجانب الآخر من النيل. بنى إخناتون – بثروة آمون التى استولى عليها – عدة معابد لآتون خلال مدة حكمه. وهكذا أسَّس پر–جم–اِتن فى النوبة عند الشلال الثالث و جم–پا– اِتن م پر–اِتن فى طيبة و اِاخوت اِتن جنوب اِنو (هرمونثيس {أرمنت

حالياً) وبيت آتون 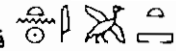 فى منف و رس-ع-م-انو . وجدير بالملاحظة أن اسم آتون لم يرد ذكره ضمن اسم المعبد الأخير. كما بنى لآتون معبداً فى سوريا أيضاً ، ورد ذكره فى أحد ألواح تل العمارنة – بالمتحف البريطانى – تحت اسم هى-نا-تو-نا [٦].

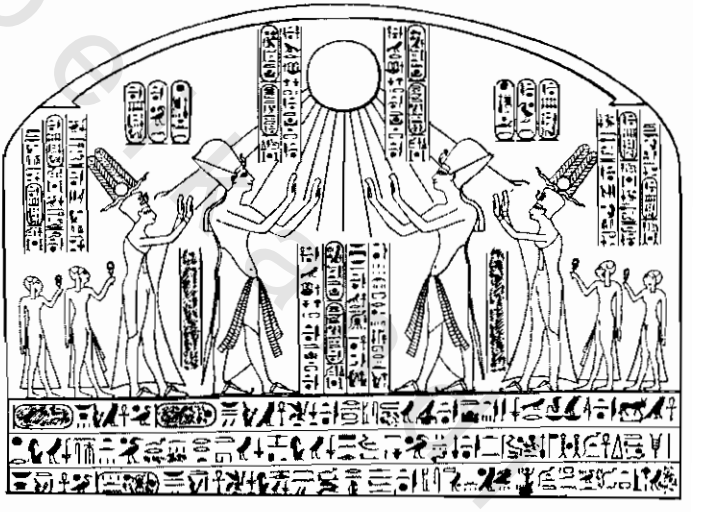

إمنحتب الرابع وملكته والأسرة يتعبدون لآتون.

نما حب الملك لمدينته الجديدة وزاد مع تزايد المبانى فى آخوت اِتن ونمو عبادة آتون ، وخصص كل وقته لعبادة إلهه. لم يعد الملك يرغب أو يفكر فى تحسين أحوال مملكته ، التى تُركت لتدبر أمرها بنفسها ، وهو محاط بزوجه وأسرته وأصدقائه ، وموظفيه

المطيعين ، الذين يبدو أنهم كانوا يُكافأون بسخاء على إخلاصهم. ملأ دينه وسعادته العائلية كل حياته ، وكانت ميول ورغبات سيدات بلاطه أكثر أهمية عنده من مشورة ونصائح أقدر موظفيه.

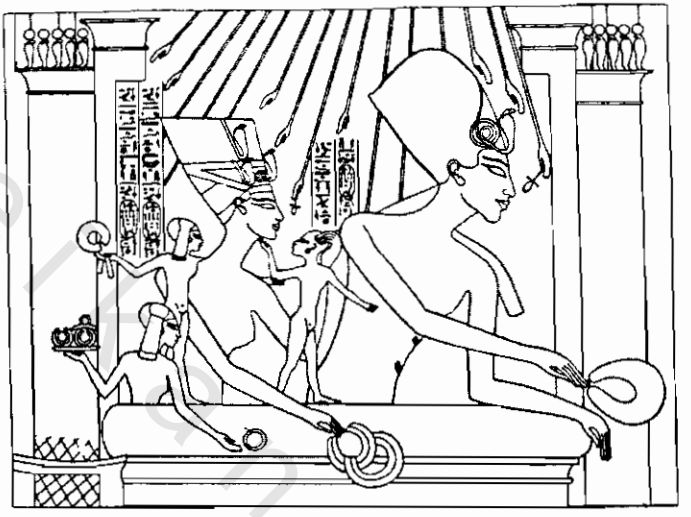

إمنحتب الرابع وملكته نفرتيتى يلقيان بأطواق من الذهب على أفراد البلاط الملكى ذوى الحظوة. ونرى الأميرة عنخ سن پا إتن – التى تزوجت توت عنخ آمون – بين الملك والملكة ، واثنتان من بناتهما خلف الملكة.

لا نعرف شيئاً عن أساليب وشعائر عبادة آتون ، إلا أنه لابد أن التراتيل والأناشيد وأغانى الكورس ملأت المعبد كل يوم. ويثبت لوح توت عنخ آمون (أنظر فصل عهد توت عنخ آمون) أن الملك احتفظ بعدد كبير من الراقصين ولاعبى الأكروبات مرتبطين بخدمة وعبادة آتون. لم يكن الملك مقاتلاً ، بل لم يكن حتى محباً للمطاردة والصيد.

لابد أن موظفيه تساءلوا إلى متى تدوم الأحوال التى كانوا يعيشون فيها آنذاك ، لأنه لم يكن لديه ابن يدربه على رياضات الرجال ويعلمه فنون الحكم والحرب ، إذ أن ذريته تألّفت من سبع بنات [٧]. كانت الحياة فى مدينة آتون بلا شك سارة ممتعة لرجال البلاط والطبقات الإجتماعية الرسمية ، لأن الملك كان كريماً مع موظفى حكومته فى المدينة ، ومنحهم – مثل الفراعنة القدامى – مقابر فى التلال ليُدفنوا فيها بعد موتهم. وأسماء الكثير من هؤلاء الموظفين معروفة جيداً ، مثل مرى رع الأول ومرى رع الثانى وبا نحسى (الزنجى) وحوى واِعهمس وبنثو ومعحو واِبى ورعمس وسوتى ونفر–خپرو–حر–سخپر وپارننفر وتوتو واِى ومعى وآنى ، إلخ [٨].

إمنحتب الرابع وملكته نفرتيتى وبعض من بناته جالسون ، تسقط عليهم أشعة آتون. الملكة تضع على رأسها القُرص وقرنى هاتور وريشتا إيزيس. يبدو أن التكوين الشاذ للجزء السفلى من الجسم من مميزات كل فرد من أفراد العائلة الملكية.

لوحة ١٠: إثنتان من بنات إمنحتب الرابع. نقش بارز محفوظ فى متحف أشمول ، أكسفورد. تم نسخه بإذن من جمعية استكشاف مصر Egypt Exploration Society.

تختلف مقابر هؤلاء الرجال عن كل مقابر الآخرين من نفس الطبقة الإجتماعية فى مصر. فالجدران مزخرفة بصور تمثل (١) عبادة الملك وأمه لآتون (٢) مَنح الملك الهدايا للموظفين (٣) بيوت وحدائق وأملاك النبلاء (٤) الحياة المنزلية ، إلخ. تحتوى النصوص الهيروغليفية على جدران المقابر على أسماء أولئك المدفونين بها ، والوظائف التى تولّوها لدى الملك ، وتملق مقزز للملك ، وصلاحه وكرمه وعلمه. ثم أدعية للصلوات الجنائزية ، وكذا تراتيل لآتون. وليست الترتيلة الطويلة فى مقبرة آى من نظم الملك ، كما يُفترض

عادة ؛ هى أفضل نص بين كل النصوص المشابهة لها فى تلك المقابر ، وقد تم العثور على مقتطفات عديدة منها فى مقابر الموظفين المرافقين للملك. وتظهر ترتيلة أقصر فى بعض المقابر ، يُحتمل أن مؤلفها هو إخناتون. ونبْحث عبثاً عن صور آلهة مصر القديمة ، رع وحورس وپتاح وأوزيريس وإيزيس وأنوبيس ، ودورات آلهة الموتى والدوات (العالم الآخر)، ولا نجد نصاً قديماً واحداً ، سواء ترتيلة أو صلاة أو تعويذة سحرية أو ابتهال من كتاب الموتى فى أى صيغة حديثة له. كانت المقبرة بالنسبة للأتونيين مجرد مكان لإخفاء الجسد الميت ، وليست نموذجاً للدوات ، كما اعتقد أسلافهم. نبذ قائدهم الملكى كل الطقوس الدينية الجنائزية القديمة مثل " كتاب فتح الفم "، و" طقوس القرابين الجنائزية "، وتعامل باحتقار وتجاهل مع أعمال مثل " كتاب الطريقين " و " كتاب المقيم فى الدوات " و" كتاب البوابات ". هكذا يظهر أنه نبذ جُملةً *en bloc* كل الشعائر والمراسم الجنائزية ، واستنكر كل الطقوس الدينية لإحياء ذكرى الميت ، التى كانت عزيزة جداً على قلوب كل المصريين. فغياب صور أوزيريس من مقابر موظفيه وعدم ورود أى ذِكر لهذا الإله فى النقوش الموجودة فيها توحى بأنه لم يؤمن بيوم الحساب ، ولا بعقيدة الثواب للصالحين والعقاب للمخطئين. إذا كان الأمر هكذا فإن حقل الغاب وحقل الجراد وساحة القرابين فى حقول الفردوس ، ونَطْع السيَّاف شسمو قاطع الرؤوس ، وحُفَر دوات الخمس وحرق الأشرار ، تصبح كلها تخيّلات سخيفة بالنسبة له. ربما هى كذلك ، لكنها كانت راسخة فى عقول رعاياه بحيث لا يمكن اقتلاعها من

جذورها ، ولم يقدم لهم شيئاً بديلاً لهذه التخيّلات. وكما يرينا التاريخ – صواباً أوخطأً – فإن المصريين لم تُرضهم عبادة آتون ، فلكونهم من أصل أفريقى ، لم يفهموا أبداً أو يهتموا بالأفكار الفلسفية المجردة[٩]. وهناك تساؤل آخر: هل حنَّط الأتونيون موتاهم ؟ من الواضح من وجود المقابر فى التلال على مقربة من اِلَخوت اِتن أن الموظفين ذوى الحيثية قد دُفنوا ؛ لكن ماذا حدث بالنسبة لأجساد الطبقة الشعبية العاملة والفقراء ؟ هل تم رميها لأبناء آوى " فى الأدغال " ؟

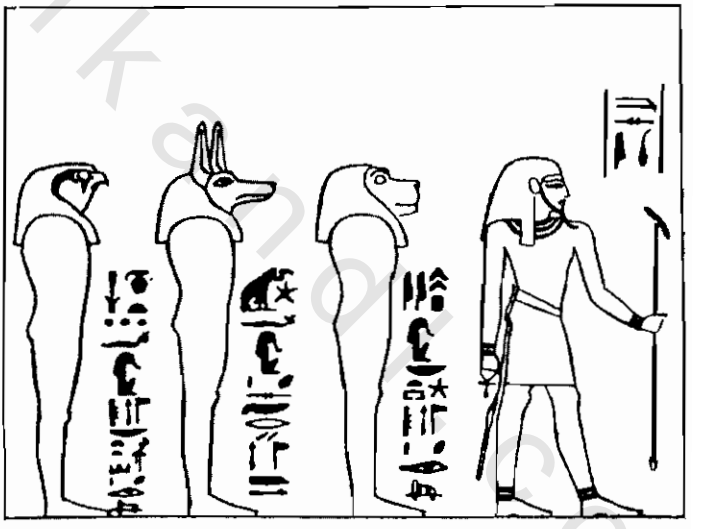

الأحفاد الأربعة لحورس المُسن. كانوا آلهة الجهات الأربع الأصلية ، وقاموا فى زمن لاحق – كأبناء لأوزيريس – بحماية أحشاء الموتى. أ– مستى ب– حپ ، ابن أوزيريس ج– دوامونتف ، ابن سكر د– قبح سنوف ، ابن أوزيريس.

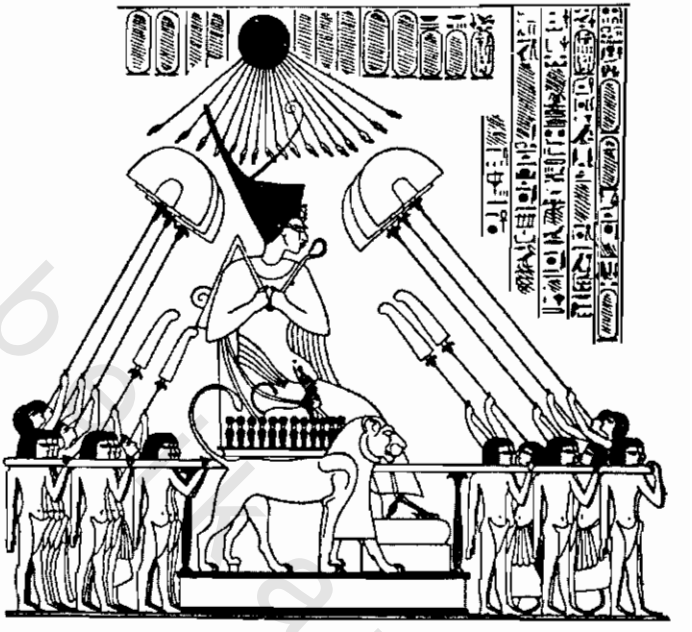

إمنحتب الرابع جالساً على عرشه-الأسدى المحمول تحت أشعة آتون ، يمسك فى يديه الرموز الفرعونية القديمة للسيادة ☥ والسيطرة 𓋴 .

كل هذا يشير إلى أن الأتونيين هاموا حباً ونعموا بالحرارة والنور التى أغدقها إلههم عليهم ، وأنهم غنّوا ورقصوا وحمدوه على نعمه ، وعاشوا منغمسين فى اللحظة الحاضرة. وعبدوا ثالوث الحياة والجمال والألوان. وأبطلوا التمسك بالتقاليد والجمود فى فنون التصوير والنحت المصرية ، وأدخلوا ألواناً جديدة فى تصميماتهم الفنية ومصنوعاتهم اليدوية ، ومع تحرر الفنانين والصنّاع من سيطرة الكهنة ، أبدعوا أعمالاً فائقة الجمال. ومضى حب الفن مع

دينهم يداً بيد ، وكان مكملاً له. يمكننا تتبع تأثيره فى الأشياء الجنائزية ، حتى عند أولئك الذين آمنوا بأوزيريس ودُفنوا طبقاً للطقوس والشعائر القديمة ، خاصة فى التماثيل والصور الشخصية والأوانى الفخارية ، إلخ. وربما كانت النقوش الصغيرة الزاهية الألوان الموجودة فى اللفافات الكبيرة لكتاب الموتى – التى تم عملها فى تلك الفترة – قد رسمها فنانون قلدوا أعمال صُنّاع أتونيين كبار.

والآن ، بينما كان إخناتون ينظّم وينمّى عبادة آتون ، وبينما كان هو ورجال بلاطه وأتباعه يقضون أيامهم وسنواتهم فى عبادة إلههم وتجميل بيوتهم ، ما الذى حدث فى باقى مصر ؟ يخبرنا توت عنخ آمون أن ريع ودخل الآلهة تحولا إلى خدمة آتون ، وأن تماثيل الآلهة اختفت من عروشها ، وأن المعابد قد هُجرت ، وأن المصريين عامة عاشوا فى حالة من الفوضى الاجتماعية. طوال الاثنتى عشرة سنة الأولى وزيادة من حكم إخناتون ، دفع النوبيون الجزية لأن نائب الملك على النوبة كانت بيده الوسائل التى تُجبر القبائل على إحضار الذهب والخشب والعبيد ، إلخ. وفى شمال مصر ، حافظ الجنرال حورمحب – القائد المسئول – على سلطة سيده ، لكن لاشك – كما أظهرت الأحداث ، عندما أصبح ملكاً لمصر – أنه لم يكن متعبداً مخلصاً لآتون ، وأن تعاطفه كان مع كهنة پتاح فى منف ورع فى هليوپوليس. لابد أن أهل منف وهليوپوليس استاءوا وشعروا بالمرارة من بناء معابد لآتون فى مدينتيهم ، وليس هناك أدنى شك فى أن ذلك الجندى الداهية سرعان ما تفاهم معهم. علاوة على ذلك ، فقد عَلِم – بصورة أفضل من ملكه – ما الذى يحدث فى سوريا ، وكيف كان

الخابيرو يهددون فينيقيا من الجنوب ، وكيف كان الحثّيون يعززون موقفهم فى شمال سوريا ، ويزيدون قوتهم فى كل الاتجاهات. لابد أنه – وكل من شاهد مجريات الأحداث فى مصر – قد اقتنع أنه لا توجد قوة يمكن للملك أن يستخدمها لوقف انتشار الثورة فى غرب آسيا ، وأن حكم المصريين هناك أوشك من الناحية العملية على الانتهاء.

عندما ارتقى الملك العرش باسم إمنحتب الرابع ، بادر كل أصدقاء أبيه فى بابل وآشور وميتانى وأرض خيتا وقبرص بتهنئته ، وكان الكل متلهفاً على صداقة ملك مصر الجديد واستمرارها. أمل بورّابورياش ملك كاردونياش فى استمرار تبادل الهدايا بينه وبين الملك الجديد ، وفى الاحتفاظ بصداقة بلده القديمة مع مصر. أما أشوروبالّيت فأرسل إليه الهدايا وطلب منه ٢٠ تالنتاً من الذهب مقابلها. وخاطبه توشراتّا ملك ميتانى قائلاً " زوج ابنتى "، وأرسل تحياته للملكة تى ، وتحدث بفخر عن الصداقة القديمة بين ميتانى ومصر. كما كتب للملكة تى ، مُذكّراً من جديد بالصداقة القديمة. لكن إخناتون لم يجب بالطريقة التى توقعوها ، وتُظهر الخطابات التى أرسلوها إليه فيما بعد أن الهدايا التى أرسلها إليهم كانت حقيرة زهيدة القيمة. من الواضح أنه كان يفتقر إلى كرم أبيه إمنحتب الثالث وسخائه. وبمضى السنين ، كتب حكام المدن والبلدان التابعة لمصر مؤكدين على وفائهم وإخلاصهم وولائهم ، وأشار الكثيرون منهم إلى الهدايا التى تسلموها وطلبوا المزيد. بعدها بقليل ، اقترن هذا التأكيد على الولاء بطلب إرسال جنود مصريين لحماية ممتلكات الملك.

مثال هذا ما كتبه شوارداتا : " إلى الملك ، سيدى ، آلهتى وشمسى. هكذا يتكلم شوارداتا العبد : سبع مرات وسبع مرات هويت عند قدمى سيدى الملك ، على بطنى وعلى ظهرى {؟؟}. ليعلم سيدى الملك أننى وحيد ، ليرسل سيدى الملك حشوداً عظيمة من الجنود ، ليعرف سيدى الملك هذا "[١٠].

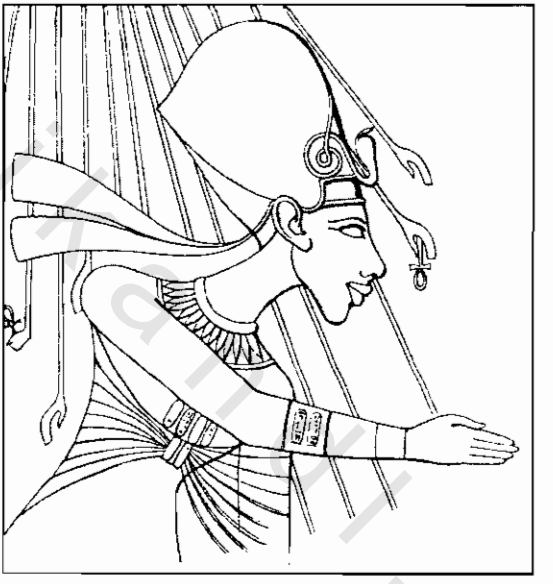

أشعة آتون تهب " الحياة " ☥ لإمنحتب الرابع ، بينما يمنح هو الهدايا لأفراد حاشيته المفضلين.

كتب أهالى تونيپ – الذين كانوا خدماً تابعين لتحتمس الثالث وعبيداً له – وأخبروا الملك أن أزيرو نهب قافلة مصرية ، وأنه إذا لم يرسل العون لهم فسوف تسقط تونيپ مثلما فعلت " نى "

قبلها. وكتب ريب-أدَّا من بيبلوس {حالياً جبيل ، شمال بيروت}: ليس لدينا طعام نأكله ، ولم تنتج حقولى محصولاً لأننى لم أتمكن من بذر الحَب. كل قُراى تحت يد الخابيرو. أنا محبوس مثل الطائر فى القفص ، ولا يوجد من يحررنى. لقد كتبت للملك وما من مجيب. لماذا لا تهتم بشؤون دولتك ؟ ذلك " الكلب " عبد-أشراتوم والخابيرى استولوا على شيجاتا وأمبى وسيميرا. أرسل الجند و{معهم} قائد بارع. أتوسل إلى الملك ألا يهمل هذا الموضوع. لماذا لا أتلقى رداً على رسائلى ؟ أرسل العربات الحربية وسوف أحاول أن أستمر فى المقاومة ، وإلاَّ سيصبح عبد-أشراتوم سيداً للبلد كلها خلال شهرين من الزمان. جبيل (بيبلوس) سوف تسقط ، وكل البلد حتى حدود مصر سوف تكون بين يدى الخابيرى. ليس لدينا حَب ؛ أرسل الحبوب. لقد أرسلت ممتلكاتى إلى صور ، وكذا بنات أختى من أجل أمانهم. وأرسلت ابنى إليك ، أصغِ إليه. افعل ما شئت معى ، لكن لا تتخلَ عن جبيل مدينتك. فيما سبق ، عندما أهملت مصر مدينتنا ، لم ندفع الجزية ، فلا تهملها أنت. لقد بعت أولادى وبناتى من أجل الطعام ولم يعد لدى شيء. أنت تقول " دافع عن نفسك "، لكن كيف أقوم بذلك ؟ عندما أرسلت ابنى إليك ، ظل ثلاثة أشهر ينتظر الاستماع له. ومع أن المقربين إلىَّ ألحوا على فى الانضمام إلى المتمردين ، فلن أفعل.

كتب أبى-ميلكى من صور {فى لبنان}: إلى الملك ، سيدى آلهتى ، شمسى. هكذا يتكلم عبدك أبى-ميلكى. سبع مرات وسبع مرات أهوى عند قدمى سيدى الملك. أنا تراب تحت قدمى {حرفياً:

خُفّى} سيدى الملك. سيدى هو الشمس التى تشرق على الأرض يوماً بعد يوم ، وفقاً لأمر الشمس ، أبوه الكريم. هو الذى أحيا فى نَفَسه الرطب {بأنفاسه}، وأنِن عند غروبه {وأحزن لغيابه}. كل البلاد تعيش فى سلام بقوة يده. إنه يُرعد فى السماوات إلهاً للعاصفة ، فترتعد الأرض كلها لرعده. ... أُنظر الآن ، قلت للشمس ، أبى سيدى الملك متى أرى وجه سيدى الملك ؟ وأُنظر الآن ثانيةً ، أنا أحرس صور – المدينة العظيمة – لسيدى الملك ، حتى تتقدم يد الملك القوية لتعطينى الماء لأشرب والخشب لأدفىء نفسى أيضاً. وبَعدُ ، فإن زيمريدا ملك صَيدا يرسل الأنباء يوماً بيوم إلى الخائن أزيرو ابن عبد–أشراتوم ، فيها كل ما بلغه من مصر. أُنظر الآن ، لقد كتبت إلى سيدى ، لأنه من الخير أن يعلم بهذا.

فى خطاب من لابايا يقول الكاتب : إذا كتب لى الملك من أجل امرأتى فلن أرفض أن أرسلها له ، ولو أمرنى أن أطعن نفسى بخنجر من البرونز فسوف أفعل حتماً. ومن بين كُتَّاب الخطابات سيدة وصفت غارات الخابيرى على عجلون وسَرحا {فى فلسطين}. تروى الخطابات كلها نفس القصة عن ثورة ناجحة من قِبَل بعض رعايا مصر وعن سلب ونهب وحرق مدن وقرى بيد الخابيرى ، وعن سرقة القوافل على كل طرق التجارة. وبينما حدث كل هذا ، ظل ملك مصر ساكناً لا يتحرك وانشغل بعبادة إلهه ! تثبت الشهادة العامة لخطابات تل العمارنة أنه لم يجد مشقة فى الحفاظ على علاقة الصداقة القائمة بين ملوك بابل وميتانى وأبيه. يبدو أنه كان مسروراً مبتهجاً باستقبال السفراء والهدايا من بلاد مابين النهرين ، ويرحب

بخطابات التملق المليئة بعبارات الولاء والإخلاص له ، إلا أن الهدايا التى كان يرد بها لم تُقنع مراسليه. لم يرسل الذهب أو أرسل القليل منه ليستخدم فى زخرفة المعابد فى بلاد ما بين النهرين ولصنع تماثيل الآلهة ، وتعطينا بعض الرسائل أمثلة – إذ يتسع معناها لذلك – من المُخادعة والغش من جانب ملك مصر. على كل الأحوال ، فهو لم يشن حرباً فى بلاد مابين النهرين ، وعندما أخفقت المدينة تلو الأخرى فى إرسال الجزية ، لم يقم بأى محاولة لإجبارها على تأديتها. لا يوجد ما نتحقق به من مدى معرفته بما كان يحدث فى غربى آسيا ، لكن لابد أنه أدرك أن قوة مصر قد ضعفت بشدة فى ذلك البلد ، عندما أرسل إليه توشراتّا وآخرون رسائل تطلب تعويضات عن هجمات شُنّت على قوافلهم بينما كانت تمر فى أرض تابعة له. وبمضى السنين لابد أنه عرف أن المصريين يكرهون إلهه ويمقتون حكمه ، ولابد أن تؤثر مثل هذه المعرفة إلى حد ما فى صحة رجل له مثل بنيته وشخصيته.

طوال السنوات الأولى من حكمه أضفى عليه الرسامون والنحاتون الشكل التقليدى للملك المصرى ، وفيما بعد تم تصويره بطريقة مختلفة تماماً ، على نحو طبيعى ، إذ كان له أنف طويل وذقن مستطيل وشفتان غليظتان بارزتان ، وكان إلى حد ما مستدير الكتفين ، وله جسم طويل نحيل ، ولابد أنه كان به شىء من التشوه فى الركبتين والفخذين. وقد تم تضخيم كل هذه الميزات الجسدية فى النقوش والصور المرسومة ، وكانت تماثيل الملك وصوره كاريكاتورية غير وقورة.[١١] لكن لابد أن هذا تم عمله بعلم الملك

وموافقته ، ولابد أنه كان تصويراً صادقاً له كما ظهر لمن قاموا بعمله. وبعبارة أخرى ، كانت هذه أمثلة للواقعية فى الفن (التى غرسها بقوة فى ذهن النحاتين والفنانين الذين ادعوا أنهم تلاميذه) مُطبقة عليه. وصمت التاريخ عن السنوات الأخيرة من عهده ، لكن الحقائق المعروفة الآن تشير إلى أنه بسبب غرقه فى المشاكل داخل بلده وخارجه ، ومعرفة أنه لم يكن لديه ولد يخلفه ، وأنه أخفق فى جعل عبادة آتون الديانة القومية ، انهارت روحه المتغطرسة المتّقدة ومعها صحته ، وصار حزيناً. ولما شعر بدنو الأجل ، عيَّن سع كارع تشسر-خبرو[١٢] وصياً مساعداً على العرش ، وهو الذى تزوج كبرى بناته مريت إتن ، ومات فى الغالب بعد ذلك بقليل ، ودُفن فى مقبرة محفورة فى الصخر ، أعدها فى التلال على بعد خمسة أميال من الضفة الشرقية للنيل بدلاً عن التلال الغربية ، حيث دُفن كل ملوك الأسرة الثامنة عشرة. حتى فى مسألة موضع مقبرته ، لم يتبع عادات بلده. تم العثور على هذه المقبرة فى ١٨٨٧-١٨٨٨ بواسطة حفّارين محليين ، قاموا بنزع خرطوشات الملك من موضعها وبيعها للرحالة.

فى القسم الخاص بإمنحتب الثالث تمت الإشارة إلى مجموعة من الجعارين الكبيرة المصنوعة من حجر الاستياتيت التى سجل عليها الملك كتابةً أحداثاً جديرة بالملاحظة فى حياته محتفلاً بذكراها. حتى الآن لم يتم العثور - سواء فى تل العمارنة أو فى مصر كلها - على أى شىء يقودنا إلى افتراض أن ابنه إمنحتب الرابع صنع صنعه ، إلا أن جعراناً طريفاً للغاية تم العثور عليه فى

سادنجا فى السودان المصرى[١٣] يثبت أنه فعل ذلك فى مناسبة واحدة على الأقل. وهذا الجعران موجود الآن فى المتحف البريطانى (رقم ٥١٠٨٤). يوجد على أحد جانبى جسم الجعران الاسم الأول للملك وعلى الجانب الآخر اسمه . وعلى القاعدة – المبتورة الجوانب – توجد سبعة أسطر من الكتابة تُقرأ :

يُظهر هذا النقش أن الجعران تم صنعه لإمنحتب الرابع قبل أن يتخذ لنفسه اسمه الجديد إخناتون. إذ تحتوى الأسطر الثلاثة الأخيرة على أسماء وألقاب الملك وملكته ، وتحتوى الأسطر الأربعة الأولى على خطبة أو صلاة إلى إله ما. لا تسمح الكسور الموجودة فى بداية ونهاية الأسطر بالقيام بترجمة مترابطة للنص ، وفيما يلى ما يمكن معرفته بوجه عام من النقش : " ملك الجنوب والشمال ، نفر-خپرو-رع-وع-ن-رع ، مانح الحياة ، ابن رع ، يحبه ،

إمنحتب ، إله ، حاكم طيبة ، عظيم طوال حياته ، (و) الزوجة الملكية العظيمة نفرتيتى ، حياة وشباب ، يقول: يحيا الإله الجميل ، العظيم فى زئيره (رعوده ؟) ... فى الاسم العظيم والمقدس ... القاطن فى مهرجان سد مثل تا-ثونن ، سيد ... آتون (قُرص) فى السماء ، أسّس بوجهه ، لطيف (أو سارّ) فى انو (أون) ". يبدو أن هذه الخطبة أو الصلاة كانت لإله للرعد ، له اسم عظيم ومقدس ؛ فالإله المألوف للرعد فى مصر {وقتها} هو عاپپ ، الذى سُمى بهذه الخاصية " همهم-تى ". ومن الطريف ورود ذكر تاثونن ، لأنه كان بالطبع أحد الآلهة التى رغب إمنحتب الرابع فيما بعد فى إلغائها. هل يمكن أن يمثل هذا النقش محاولة لتشبيه إله الرعد السودانى الفطرى بآتون ؟ تحدث كاتب إحدى رسائل تل العمارنة التى سبق ذكرها {أبى-ميلكى} عن رعود إمنحتب الرابع ، وقال أنه عندما يُرعد يرتجف كل الناس من الخوف. يبدو من هذا أن إحدى حالات آتون ارتبطت فى أذهان الأجانب بإله الرعد ، إلا أنه لا يوجد دليل يُظهر لنا من كان ذلك الإله.

يبدو لى أن الحقائق المعروفة عن حياة وعهد إخناتون تُثبت أنه من البداية للنهاية كان متعصباً دينياً ، غير متسامح ، متغطرس ، وعنيد ، لكنه جاد ومخلص فى بحثه عن الإله وفى محاولاته جعل آتون الإله القومى لمصر. يصفه الكُتَّاب المعاصرون بأنه " مُصلح "، لكنه لم يُصلح شيئاً. لقد حاول أن يفرض عبادة " حورس الأفقين فى اسمه شو (أى حرارة) الذى هو فى آتون " على شعبه وفشل فى ذلك. عندما وجد أن رعاياه رفضوا قبول آرائه الشخصية عن إله

شمسى قديم – ربما كان الأقدم – انتهت عبادته منذ قرون ، هجر عاصمة أسلافه العظام الذين أحبوا الحرب مشمئزاً ، وانسحب مثل الطفل المدلل – وقد كان كذلك بلا شك – إلى مدينة جديدة من صُنعه. ومثل أمثاله من المصابين بجنون العظمة ، كان قانعاً راضياً طالما استطاع أن يُرضى طموحاته الخاصة ويشبع رغباته ، ولا أهمية للتكاليف والنفقات. عادة ما يكون الضرر الذى يحدثه مثل هؤلاء الناس محدوداً فى نوعه ومداه ، لكنه كملك كان قادراً على أن يُنزل ببلده البؤس والشقاء بلا حدود طوال السبع عشرة سنة التى حكمها. فقد بدَّد ثروة بلده فى عبادة إلهه ، وفى إشباع رغبته فى جمال الشكل والهيئة ، ومن أجل الانفعال الدينى والنشوة الروحية. ورغم سخائه فى مكافأة كل من كانوا فى خدمة هذه الرغبة بالذهب والفضة ، كان بخيلاً شحيحاً عندما اتصل الأمر بإنفاق المال فى سبيل منفعة بلده. توضح رسائل تل العمارنة هذه الحقيقة تماماً. ولعل شعوب غرب آسيا ظنّوا وقالوا أن ملك مصر " صار درويشاً "، إلا أن حياته كانت تفتقر إلى الزهد. أمَّا تفاخُره بأنه " يعيش فى الحقيقة " أو " يعيش فى الحق " – الذى يوحى بأنه عاش حياة طبيعية وبسيطة تماماً – يرى الأشياء كما كانت فى الواقع ، فيبدو مضحكاً سخيفاً. اشترك إخناتون فى الكثير من السِمات مع الحاكم [يقصد الحاكم بأمر الله]، الخليفة الفاطمى لمصر (٩٩٦-١٠٢١م). فكلاهما كان ابناً لأب ثرىّ مترف محب للمُتع ، وكلاهما اعتلى العرش صبياً. كان لكل منهما مظهر غريب ، وكلاهما تحرر من التقاليد وأدخل أفكاراً جديدة لكن شخصية كل منهما فى تغييره كانت شخصية مُصلح مجنون.

كان المسيحيون واليهود بالنسبة للحاكم مثل الأمونيين بالنسبة لإخناتون. فكل من الملك والخليفة كان تقياً بشكل متعصب متغطرس وبنى كلاهما دوراً للعبادة. واعتقد كل منهما أنه تجسيد للإله ، ونسب لنفسه صفات الألوهية ، وأفتى بأحكام تخص العبادة. وكان كلاهما راعياً للفنون ، إلا أنه لا يوجد دليل على أن الفرعون شجَّع الرجال المتعلمين على التجمع فى بلاطه كما فعل الخليفة. كثيراً ما قتل الحاكم أعداءه ، وفى نوبات غضبه الشديد قتل الناس بالجملة. ورغم أننا لا نعرف هل ارتُكبت أعمال شريرة فى اأخوت اتن ، فلا يزال ضرباً من التسرع أن نفترض أن الأشخاص الذين جلبوا على أنفسهم استياء الملك إلى درجة خطيرة لم يتم إبعادهم وإزالتهم بالطرق التى كانت معروفة جيداً فى البلاط الشرقى منذ عهد سحيق.

خَلَفَ إخناتون وصيه المساعد على العرش سع كارع ، الذى يُحتمل أن عهده كان قصيراً جداً وغير هام. كان زوجاً لابنة الملك وعابداً مخلصاً لآتون ، تمنى أن يجعل عبادته دائمة مستمرة. لا نعرف شيئاً عن أفعاله وعما إذا كان قد خُلع عن العرش أم كان موته أسبق. خلفه توت عنخ آمون ، الذى سبق أن وصفنا عهده. ثم تبعه العهد القصير لآى ، الذى تزوج مربية إمنحتب الرابع ، وكان مُعلماً للجواد {الملكى} ، ثم خلفه حر-م-حب {حورمحب}، ضابط الجيش الذى خَدَم فى شمال مصر أثناء عهد إخناتون. بدأت استعادة عبادة آمون على يد توت عنخ آمون وثبتت بشكل نهائى على يدى حورمحب ، فاكتمل نصر آمون. وكانت النتيجة المباشرة له هى انحطاط وسقوط عبادة آتون ، وفقدت مدينة " أفق آتون " كل أهميتها

واندثرت. وهاجر الفنانون – بعد أن أصبحوا بلا عمل – إلى طيبة وغيرها من الأماكن حيث استطاعوا مزاولة حرفهم فى خدمة آمون وهجر الكثير من الأتونيين إلههم وتحولوا إلى عبادة آمون. من المحتمل أن الرعاع نهبوا المعابد وبيوت الموظفين ، وعاملوهم بالطريقة التى تُعامل بها أملاك العصبة الدينية المهزومة دائماً فى الشرق. وتحولت المدينة المهجورة سريعاً إلى خرائب ولم تُجدد أبداً أو تُسكن مرة ثانية. ويصل التقدير المتسامح لفترة حياة هذه المدينة إلى ٥٠ سنة.

ما تبقى من اَخوت اِتن اليوم تُحدِّد مكانه الخرائب والمقابر المنحوتة فى الصخر التى تقع قرب قرى العرب {يقصد الفلاحين المصريين}: الحاج قنديل والتَلّ ، وتُعرف عادة باسم " تل العمارنة ". وهو الاسم الشائع الاستخدام بين المصريين فى صعيد مصر سنة ١٨٨٧ ، وقد طلبت من مصطفى أغا ، نائب قنصل صاحب الجلالة البريطانى فى الأقصر ، أن يفسره لى. فقال لى أن عرب بنى عمران استقروا فى التَلّ (تُنطق عادة التِلّ)، ولهذا عُرفت القرية لسنوات عديدة باسم " تل بنى عمران ". وعندما غادر معظم بنى عمران المكان وعادوا للصحراء ، سُمّيت القرية " تل العمارنة ". يحتاج المكان – نظراً لاتساعه الكبير – إلى التنقيب الدقيق من طرفه إلى الطرف الآخر ، لأن هذا هو المكان الوحيد الذى يحتمل أن نجد فيه المادة الأثرية للتاريخ الحقيقى لإمنحتب الرابع وعهده. فالاكتشافات التى تمت فيه بالفعل تثبت ذلك ، وقد عثرت امرأة سنة ١٨٨٧ فى الموقع على ما يزيد عن ثلاثمائة رسالة وخطاب محررة

بالخط المسمارى من ملوك وحكام غرب آسيا ، وباعتها لأحد الجيران مقابل ١٠ قروش (٢ شلن).[١٤] وكانت نتيجة اكتشاف هذه المرأة أن قام بترى Petrie بالتنقيب فى تل العمارنة ونجح فى العثور على العديد من الشظايا والرقائق الصغيرة عليها قوائم بها علامات وكلمات ، إلخ ، وبعض أرصفة الطرق الملونة تلويناً جميلاً.[١٥] ثم بدأت جمعية الشرق الألمانية Deutsche Orient-Gesellschaft التنقيب هناك سنة ١٩١٣ ، واكتشفت فى العام التالى عدداً من الأشياء البالغة الأهمية ، نخص بالذكر منها لوحاً عليه كتابة مسمارية وتمثالاً رائعاً لرأس الملكة نفرتيتى ، موجود الآن فى متحف برلين. وهذا التمثال هو أدق وأجمل مثال معروف عن النحت الملون من تل العمارنة ، وكان من الواجب أن يُحفظ فى مصر وأن يوضع فى المتحف المصرى بالقاهرة. وهذا السهو والغفلة من جانب موظفى متحف القاهرة يحتاجان إلى تفسير. بين القطع والشظايا ذات الكتابة المسمارية التى اكتشفها المنقّبون الألمان فى تل العمارنة سنة ١٩١٣ ، توجد واحدة عليها نَقش أسطورة تصف حملة سَرجون من أكّاد إلى آسيا الصغرى. وقد نشر شرودر Schroeder النص الأصلى لأسطورة " مَلك المعركة " فى *Vorderasiatische Schriftdenkmäler*, xii, pp. 2-4 ، وقد ترجمها ڤايدنر Weidner للألمانية بعنوان *Der Zug Sargons von Akkad nach Kleinasien*.

فى شتاء ١٩٢٠-١٩٢١ ، أرسلت جمعية استكشاف مصر Egypt Exploration Society بعثة إلى تل العمارنة تحت

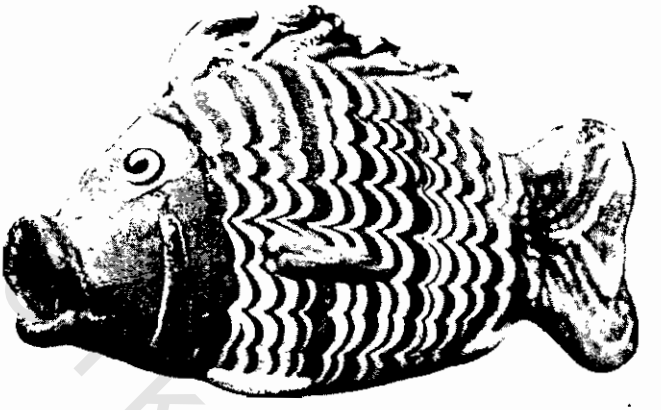

لوحة ١١: إناء زجاجى ملون على شكل سمكة. من تل العمارنة. المتحف البريطانى ، رقم ٥٥١٩٣. (إهداء جمعية استكشاف مصر Egypt Exploration Society ، ١٩٢١)

إشراف الأستاذ بيت Prof. T. E. Peet ، لمواصلة أعمال التنقيب من حيث توقف الألمان فى سنة ١٩١٤. وخلال سير العمل ، تم العثور على عدد كبير من الأشياء المشوقة للغاية ، من بينها شظية من لوح مسمارى ، محفور عليها قائمة من العلامات ، وبعض النماذج الرائعة متنوعة الألوان من الأوعية الزجاجية والآنية الفخارية. وقد أجابت المعلومات التى جمعها [١٦] على عدد من الأسئلة وسوَّت بعض المشكلات ، وقررت الجمعية أن تواصل تنقيبها فى الموقع. وفى سنة ١٩٢٢ خَلَفَ السيد وولى Mr. Woolley الأستاذ

بيت كمدير للبعثة ، واستمر فى العمل بالقدر الذى سمحت به الاعتمادات المالية. وقد أثار الاكتشاف الذى قام به لورد كارنرفون Lord Carnarvon والسيد هوارد كارتر Howard Carter فى ديسمبر ١٩٢٢ الاهتمام العام بكل ما يتصل بعهد توت عنخ آمون وعهد سلَفه إمنحتب الرابع ، " الملك المهرطق " سيء السمعة. إنه من الضرورى الآن أكثر مما سبق أن تستمر أعمال التنقيب حتى يتم تنظيف وفحص أطلال تل العمارنة بالكامل. ومن أجل هذا يجب أن يتم دعم جمعية استكشاف مصر بسخاء ، ويجب أن يشارك فى هذا العمل كل مهتم بتاريخ وديانة المصريين القدماء. مثل أى شيء آخر زادت تكلفة تنقيب المواقع فى السنوات الأخيرة ، ولم تحدث زيادة فى التبرعات الواردة للجمعية بالنسبة للنفقات. ورئيس الجمعية الجنرال ج. جرنفل ماكسويل Right Hon. General J. Grenfell Maxwell هو نفسه مُجمِّع متحمس للآثار المصرية ، والسكرتير الشرفى هو د. هول Dr. H. R. Hall نائب أمين قسم الآثار المصرية والأشورية فى المتحف البريطانى. تتم أعمال التنقيب والعمليات الأخرى للجمعية بنظام اقتصادى صارم فعَّال ، وكل الأشياء التى يتم العثور عليها خلال التنقيب يتم تقسيمها بلا مقابل *gratis* بين المتاحف.

١- أنظر Davis, *The Tomb of Queen Tîyi*, London, 1910

٢- هامش للمترجم : اعتبر المؤلف نفرتيتى أختاً للملك كما اعتاد الكثير من علماء المصريات فى دراستهم لتاريخنا القديم من زواج

الملك لأخته ، وهذا موضع شك. والمرجح فى وقتنا الحالى أن نفرتيتى كانت بنت آى. ويمكن لمن يحب معرفة الآراء المختلفة فى هذا الموضوع الإطلاع على كتاب: سيريل ألدريد ، اخناتون. المنشورة ترجمته فى القاهرة ١٩٩٢ ، فى سلسلة الألف كتاب الثانية. (مع تحذير القارىء من الكثير من المغالطات ووجهات النظر العجيبة التى نبه عليها مراجع الترجمة فى التمهيد.)

٣- *Ancient History of the Near East*, p. 298

٤- يبدو أن الهدف من هذا الاحتفال هو إطالة عمر الملك ، الذى لبس ملابس أوزيريس ، واتخذ هيئته ، فتقمصه الإله بإقامة الشعائر والطقوس الدينية. وبهذه الطريقة جدَّد الملك حياته وألوهيته.

٥- هامش للمترجم : هى " سوينى " فى كتاب " هِرُدوت يتحدث عن مصر " ص١٠٣ ، ترجمة د. محمد صقر خفاجة ، تقديم وشرح د. أحمد بدوى ، دار القلم ١٩٦٦.

٦- الغرفة البابلية ، منضدة العرض F. رقم ٧٢ (٢٩٨٥٥). {فى المتحف البريطانى}

٧- أسماء بنات اَخون اِتن {إخناتون} السبعة هى:

١. إتن مريت 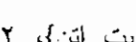 {مريت إتن}، ٢. معكت إتن 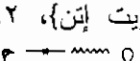 ، ٣. عنخ سن پا إتن 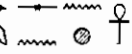 ، ٤. نفر نفرو إتن الصغيرة 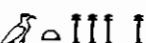 ، ٥. نفر نفرو رع 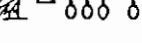 ، ٦. ستپ ن رع ، ٧. باكت إتن 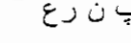 . تزوجت البنت الأولى من سع

كا رع ، مساعد أبيها فى الحكم. ماتت الثانية صغيرة ودُفنت فى مقبرة بالتلال الشرقية. وتزوجت الثالثة من توت عنخ إتن (توت عنخ آمون).

٨- نشر داڤيز أوصاف مقابر كل هؤلاء على نحو رائع فى:
Davies, *The Rock Tombs of El-Amarna*. Six vols. London, 1903-08.

٩- هامش للمترجم : كانت مصر وجزء كبير من أفريقيا فى ذلك الوقت (١٩٢٢) خاضعة للإحتلال البريطانى ، والمؤلف – مع تقديرى له – وفىّ لبلده وللحضارة الأوربية ، يدين لهما بأسلوبه فى التفكير.

١٠- كل هذه الخطابات والتقارير مكتوبة بالخط المسمارى على ألواح طينية ، عثرت امرأة قروية على أكثر من ثلاثمائة منها فى تل العمارنة سنة ١٨٨٧-١٨٨٨. نُشرت ملخصات لمحتويات الألواح المحفوظة فى المتحف البريطانى فى كتابين Bezold & Budge, *Tell el-Amarna Tablets*, London, 1892 و Bezold, *Oriental Diplomacy*, London, 1893. ونشر ڤنكلر Winckler نصوص كل الخطابات المحفوظة فى لندن وبرلين والقاهرة مع ترجمة ألمانية لها ؛ كما نشر كنودتسون Knudtzon ترجمة ألمانية أخرى لها. ونشر تيرو دانجان Thureau-Dangin نصوص الخطابات الستة التى اقتناها اللوڤر Louvre سنة ١٩١٨ مع ترجمة فرنسية لها ، فى مجلة *Revue d'Assyriologie*, Vol. XIX, Paris, 1921. أرسل ثلاثة من هذه الخطابات حكام

فلسطينيون ، واثنان منها أرسلها زعماء سوريون ، أما الخطاب الأخير فهو موجه من ملك مصر إلى إنتارودا ، حاكم أكساف.

١١- بعض الملاحظات الممتعة التى كتبها د. أسلبرجس Dr. H. Asselbergs عن الأسلوبين القديم والحديث فى النحت البارز فى عهد إمنحتب الرابع ، مع نسخة فوتوغرافية لقالب نشره پريس فى عمله: Prisse, *Monuments*, plate 10, No. 1 نجدها فى:
Aegyptische Zeitschrift, Band 58 (1923), p. 36ff.

١٢- ألقابه الكاملة هى:

١٣- نشرها هول لأول مرة فى:
Hall, *Catalogue of Scarabs*, p. 302.

١٤- نسب السيد جارفين Garvin هذا الاكتشاف إلى پترى Petrie فى جريدة *Observer* بتاريخ ٢٥ فبراير ١٩٢٣. وقد رَوَيت القصة الحقيقية لهذه " اللقيَّة " فى كتابى النيل ودجلة *Nile and Tigris*, Vol. 1, p. 140 ff.

١٥- قام بالحفر هناك من نوفمبر ١٨٩١ حتى نهاية مارس ١٨٩٢. أنظر كتابه *Tell el Amarna*, London, 1894, 4to.

١٦- أنظر تقريره التمهيدى فى *Journal of Egyptian Archaeology*, Vol. VII (1921), p. 169 ff.